

العمال فى رعاىة الإسلام

تأليف

الدكتور / محمد محمد الطويل

من علماء الأزهر الشريف

الناشر

مكتبة ومطبعة

الغد

للطببع والنشر

إهداء

إلى الأيدى المتوضئة . العاملة فى بناء مجد أمتها المسلمة . الساعية إلى عزتها وكرامتها .

إلى العقول المفتحة . التى تقبل الحقيقة أيا كان مصدرها . مادام الدليل يؤيدها .

إلى الذين يطرحون القيود الوهمية . و يهدمون السدود التى أقامها المتنطعون .
الذين يجدون فى تحريم الحلال تحوطاً للدين ، وراحة للضمير ، وما دروا أنهم أساءوا بذلك ولم يحسنوا .

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

۞ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا
(١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَتَغَوْنَ عَنْهَا حَوْلًا (١٠٨) قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا
لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١٠٩)
قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ
رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠) ۞

(آية ١٠٧ - ١١٠ سورة الكهف)

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على النبي العامل الأمين وعلى آله وصحبه . وعلى جميع إخوانه من الأنبياء والمرسلين . الذين كانوا مثلاً علياً في الحياة . عاملين بأيديهم . آكلين من كدهم .

وبعد

فإن الاسلام أراد لأتباعه أن يكونوا أعزة في حياتهم . فردهم عامل على إعالة نفسه وأسرته . فإن أفاض عليه ربه من فضله . كان عائلاً للأقربين من أهله وجيرانه . من حالة أوضاع حياتهم عن إعالة انفسهم .

وأمتهم عاملة كذلك ، حتى تكون اليد العليا لا أن تكون اليد السفلى . واستجاب الجميع أفراداً وأماً لنداء الإسلام ، فكانوا نبع الخير للأمم والشعوب من حولهم ، وامتد عطاؤهم للإنسانية قروناً .

ثم ابتلانا الحكيم العليم بطائفة منا أشاعت فينا أن السعى في طلب الحلال يتنافى وروح الاسلام ، وأن عيش الكفاف أسلم عند الحساب .

ومع جهالة هذه الدعوة ، وتنطع أصحابها ، فقد سرت في أوصالنا سمومها حتى صرنا عالة على غيرنا نمد اليد العاطلة نستجدي ما يسد جوعتنا ، وبذلك أصبحنا تابعين بعد أن كنا متبوعين ، أمرنا معلق بإرادة غيرنا ، وصدق فينا قول من قال : من لا يملك قوته لا يملك إرادته .

لقد آن لنا أن نعلم أن باب الاجتهاد مفتوح أمام الأحياء ، ولن يغلق ما دام في الدنيا حياة ، وأن نحاول التخلص من ركام عصور التخلف التي وقفت عقبة كؤوداً في طريق تقدمنا .

لقد خلع الغرب فى طريق نهضته فى العصر الحاضر كل ما يربطه بالدين . على ظن
أن الدين عائق فى طريق الإنتاج الوافر . والرفاهية الواسعة .
أما نحن فنعتقد جازمين أن ديننا أقوى العوامل فى تقدمنا . على أن نحسن التمييز
بين الصحيح والزائف بين اللباب والقشور ، بين الحلال والحرام .
وعندها ننطلق قدما لائلوى على شىء حتى نحقق الكفاية وما فوق الكفاية .
فنكون أول نمر أفريقى . يفرض احترامه وهيبته على رجال السياسة ، وعلى رجال
الاقتصاد فى آن واحد.

ناهيا فى ٣١ / ٣ / ١٩٩٧ م

دكتور

محمد محمد الطويل

من علماء الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

تهديد

أخرج الله عز وجل آدم من الجنة بعد أن عصى ربه ، وكان قد علمه الأسماء كلها . إلا أنه سبحانه تركه في حياته الجديدة حراً يختار من الوسائل ما يستطيع به تحقيق مطالبه . وما يحفظ عليه حياته على أرض مهياة لتستجيب له فيما يريد .

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (١)

وعاش الإنسان على هذه الأرض تدفعه الغريزة ، ويقوده العقل ، وما زوده الله تعالى به من القدرة على التفكير والتخيل ، وحب الاستطلاع والتذكر إلى ما يحفظ عليه حياته ، ويشبع رغباته ، وما يحميه من تقلبات الطبيعة ، ومن كل ما يصادفه من مخاطر ومخاوف .

وفي كل يوم يكتشف جديداً ، ويضيف إلى تجاربه خبرة . ومع توالي الأيام تزداد الخبرات والتجارب ، ويعلم ما لم يكن يعلم ، ويعمل ما لم يكن قد عمله . والإنسان بملكاته الفطرية وقدراته العقلية التي أودعها فيه خالقه . لم يقتصر على الطبيعة الجديدة . يستفيد بها ويتعلم منها .

فحين قتل قابيل أخاه هابيل ترك جثة أخيه في العراء حتى تعفنت ، وصارت مصدراً لتلوث البيئة ، ولم يهتد إلى الحل الأمثل إلا حين أبصر صنيع الغراب . ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِى سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِى سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ (٢).

(١) سورة الملك . آية ١٥

(٢) سورة المائدة . آية : ٣١ .

وقد سمعنا عن كلب الماء (السمور) وكيف يسقط الاشجار لإقامة السدود بحيث يصبح مسكنه نصف مغمور تحت سطح الماء للحماية . وكيف تجمع الشمبانزى من القردة العصى لتسقط أكلها من أماكن مرتفعة لاتصل إليها بأيديها .

وربما تساءلنا عن أول أدوات استخدمها الإنسان ..

وللإجابة عن هذا التساؤل لا يلزم الحفر فى الكهوف . لأن أول أداة استخدمها الإنسان كانت يده ، فيها أمسك بغذائه ، وبواسطتها مزقه إلى قطع باستخدام الأصابع . وبعد ذلك فليست الأدوات اليدوية التي استخدمها سوى امتداد ليديه ... ويعتقد العلماء أن الإنسان بدأ حياته علي الأرض منذ حوالى نصف مليون سنة على الأقل وهي فترة ليست بالكبيرة عند مقارنتها بمئات الملايين من السنين منذ عصر الديناصور والزواحف الضخمة .

والجدول الآتى يعطي فكرة عن

تطور الأدوات التي استخدمها الإنسان الأول حتي عصرنا الحالى :

إلى	من	
٣٠٠٠ سنة ق . م	٦٥٠,٠٠٠ سنة ق.م	العصر الحجري
١٠٠٠ ق . م	٣٠٠٠ ق.م	العصر البرونزى
وقتنا الحالى (١)	١٠٠٠ ق.م	العصر الحديدي

وتتوالى القرون ، وتتوزع الشعوب فى أقطار الأرض ، وتتنوع الحضارات ، وتباين الثقافات والمهارات ، وتعرف البشرية الصناعة والتجارة والزراعة ، وغيرها من وسائل الحضارة والتقدم .

ومن تباين الثقافات تختلف نظرة الشعوب إلى العمل ، فالتراث الإغريقى مثلا وهو الذى ترك آثاره واضحة فى الفكر الغربى لا يقف عند تجاهل شرف العمل بل يرى

(١) انظر كتاب الإنسان وأدواته تأليف وليم بيرنز ترجمة دكتور محمد صابر سليم ص ٨ ومابعدها .

بعض العمل عاراً . كان العمل غير الذهني - عند الإغريق - وصمة اجتماعية توجب لصاحبه التحقير ، وكانوا يرون أن الاضمحلال البدني ناشئ عن هذا العمل ، ويستتبع انحطاط الروح .

وكانوا يرون أن المواطن الصالح لا يكون أبداً من العمال . وقد كانوا يصفون (هيفاستس) إله التعدين عند الإغريق . والراعى للعمال المهرة . بأنه مثير أعرج . أشعت المظهر . وهكذا نحتوه وصوروه . ولم يروه كغيره من آلهتهم جميلاً سويّاً أنيقاً . وكذلك (فولكان) . إله الحديد والنحاس والذهب عند الرومان كان - فيما وصفت الميتولوجيا الرومانية ونحتت - قبيح المنظر مشوهاً . وحتى بعد قيام الثورة الصناعية في أوروبا في القرن الثاني عشر ظل بعض الشعراء والقصاصين الغربيين أمثال شيلر وردز ويرث وفحت وديكنز وتولستوى وكير جادر ونولكنر ظلوا يحطون من شأن المجتمع الصناعي باعتبار أنه - في رأيهم - يقضى على القيم الإنسانية^(١) .

(١) دراسة إسلامية في العمل والعمال لبیب السعيد ص ٧ وما بعدها .

الباب الأول

المبحث الأول : نظرية القيمة في الفكر الإسلامي

المبحث الثاني : تعريف العمل

المبحث الثالث : مكانة العمل في الإسلام

المبحث الرابع : الإسلام دين العمل .

المبحث الخامس : اتساع ميادين العمل .

المبحث السادس : بعض الأعمال محرمة .

المبحث السابع : دعوى باطلة .

المبحث الثامن : للمرأة أن تعمل .

المبحث الأول

نظرية القيمة فى الفكر الإسلامى

اتفق علماء الاقتصاد على أن عناصر الإنتاج أربعة :

الطبيعة : وهى أصل الإنتاج .

والعمل : وهو الجهد الذى يبذله الإنسان للحصول على المنفعة .

ورأس المال : هو الأموال التى تستخدم فى إنتاج السلع والخدمات .

والتنظيم : وهو الجمع بين العوامل الثلاثة وإدارتها للحصول على أقصى إنتاج بأقل تكلفة .

ويمكن الوقوف على مفهوم القيمة فى الفكر الإسلامى . من خلال دراسة هذه العناصر .

١ - الطبيعة :

جاءت آيات القرآن الكريم لتؤكد أن الله عز وجل هو خالق الأرض والماء والشمس والقمر والسماء ، وأنه سخر لنا هذه الكائنات لتكون وسيلتنا فى العمل على بقاء الحياة وإعمار الكون .

يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ (١). ويقول سبحانه: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلُوكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (٢).

ويقول عز وجل. ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقِيمِينَ ﴾ (٣).

(١) من الآية ٢٠ سورة لقمان .

(٢) آيات ٣٠ - ٣٤ سورة إبراهيم .

(٣) آيات ٧١ - ٧٣ سورة الواقعة .

فجميع عناصر الطبيعة ، وكل الكائنات خلقها الله عز وجل ، وجعلها في خدمة الإنسان . وبث فيها ما يحتاجه في شؤون حياته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .
وتحدد قيمة هذه العناصر بما بذل فيها من جهد وعمل . فالأرض تظل عديمة القيمة حتى يصلحها الإنسان بإحيائها .

٢ - رأس المال :

تعددت آراء علماء الاقتصاد حول مدى اعتبار رأس المال عنصراً أصيلاً من عناصر الإنتاج . إلا أن الفكر الإسلامي يعترف بخصائص رأس المال . على أنه نتاج حاضر أو ماضٍ على أن يكون المال مستقفاً مع تعاليم الإسلام ، بأن يكون المال طيباً نافعاً لا ضاراً خبيثاً ، وأن يكون ماله على خلق كريم . ضماناً لتحقيق الكسب الحلال .
فكل مال استعمل في العمليات الإنتاجية كالأرض والمباني والآلات وغيرها . يطلق عليه الاقتصاديون رأس المال .

٣ - التنظيم :

وهو ما يمكن أن نستنبطه من كتاب الله تعالى . تحقيقاً لقوله سبحانه : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (٨٩) .

ومن سنة النبي ﷺ . والتي جاءت مفسراً للقرآن الكريم مبينة أحكامه ، والتي تشمل أفعاله ﷺ وتقريراته . وعلى هدى هذين الأصلين بدأ الاجتهاد في تنظيم شؤون المسلمين ، واستمر في عهده ﷺ وعهد خلفائه من بعده . ولا يزال يتسع الاجتهاد باتساع بلاد الإسلام . حتى صار مصدراً من مصادر كثير من التشريعات في كثير من أقطار المسلمين .

٤ - العمل :

وهو موضوع دراستنا في هذا البحث .

(١) آية ٨٩ : سورة النحل .

المبحث الثانى

تعريف العمل

لا يعتبر كل مجهود يبذله الإنسان عملاً من الناحية الاقتصادية . ذلك لأن كثيراً ما يجهد بعض الافراد أنفسهم فى ممارسة الألعاب الرياضية لتقوية أجسامهم . أو العزف على الآلات الموسيقية بقصد التسلية وقطع الوقت . ولاتعد مثل هذه الجهود من قبيل الأعمال الاقتصادية .

فما هى إذن الخاصية المميزة للمجهود الإنسانى الذى يوصف بأنه عمل ؟ اعتبر بعض الاقتصاديين أن الخاصية المميزة للعمل هى أنه يقترن بالإكراه ، أى أن القائم بالعمل يكون مكرهاً على بذل جهده ليكسب قوته ، فالشخص الذى يمارس نوعاً من الرياضة فى أوقات الفراغ بقصد الاستفادة صحياً لا يوصف بأنه يقوم بعمل . لأنه يبذل هذا المجهود عن طوعية واختيار . أما المجهود الذى يبذله الممرن الذى يدرّب أعضاء النوادى الرياضية فيعد عملاً لأن القائم به مكره عليه للحصول على أجره .

وهذا رأى - رغم انطباقه على غالبية صور العمل - لا يصدق على بعض الجهود التى تبذل . دون أن تقترن بالإكراه والتى لا يجادل أحد فى اعتبارها من الأعمال من وجهة النظر الاقتصادية . مثال ذلك المجهودات التى يبذلها العلماء والمكتشفون والفنانون عن رغبة واختيار . بل عن لذة وانسراح ، والأعمال التى يقوم بها بعض الأشخاص متطوعين غير مأجورين بسبب الارتياح الذى يشعرون به نتيجة قيامهم بأداء رسالة دينية أو اجتماعية ، أو لمجرد الاحساس بأنهم المرجع للبت فى مصالح الناس أو فى توجيه المرءوسين .

نخلص مما تقدم إلى أن عنصر الإكراه فى بذل الجهد ليس هو المميز الحقيقى لاعتبار هذا الجهد عملاً ، ونرى أن هذا المميز يكمن فى أن المجهود الذى يبذل يجب أن يكون محققاً لمنفعة اجتماعية ، أو من شأنه أن يكون محققاً لهذه المنفعة الاجتماعية . ونقصد بالمنفعة الاجتماعية إشباع حاجة من حاجات أفراد المجتمع . أما إشباع حاجة القائم بالعمل فلا تدخل فى الاعتبار عند تمييز الأعمال عن غيرها من الجهود المبذولة ، لأن

ممارسة الألعاب الرياضية ، وهواية العزف على الآلات الموسيقية تشبع حاجة فى نفوس المهتمين بها . ولكنها لا تعد أعمالا من الناحية الاقتصادية . لأنها لا تشبع حاجة من الحاجات الاقتصادية لدى غيرهم من أعضاء المجتمع^(١) .

أما الإسلام فإنه تتسع نظريته لكل عمل صالح . يقصد به العامل وجه الله تعالى . أو خدمة نفسه أو أهله . أو خدمة مجتمعه . فكل ذلك عمل يثاب عليه فى الدنيا والآخرة . بل إن الامتناع عن إيذاء الناس ، وهو عمل سلبى يعتبر فى مفهوم الإسلام عملا صالحاً منتجا .

(١) أصول الاقتصاد . للدكتور محمد حلمى مراد ج ١ ص ٢١٥ .

المبحث الثالث

مكانة العمل فى الإسلام

لاشك أن العمل أهم عنصر فى طرق الكسب التى أباحها الإسلام . وهو الركيزة الكبرى فى الإنتاج . وعلى قدر ما يعمل المسلم . وتتسع دائرة نشاطه . تكون مكانته وعظيم أجره . يقول تعالى . ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

وفى القرآن الكريم ما يزيد على الثلاثمائة والستين آية كلها تتحدث عن العمل والعاملين ، وترفع قدر العامل المخلص ، وتبين ما يحظى به من أجر جزيل ، فالعمل هو الجانب التطبيقى للعقيدة . وتظل العقيدة حبيسة القلب حتى يظهرها العمل ، ويصبها فى قالب محسوس .

وقد وضع القرآن الكريم قانوناً عاماً لكل نوع من أنواع العمل . سواء أكان عملاً دينياً أم دنيوياً ، ولهذا جاء التعبير القرآنى للعمل مقروناً بوصف الصالح حتى يتسع مفهومه لكل عمل مفيد . يقول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢) فالعمل فى مفهوم القرآن يشمل كل ما يحقق مصلحة خاصة أو عامة . وليس مقصوراً على أعمال العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج إلى غير ذلك من العبادات ، فالإسلام لا يفرق بين العمل للدنيا والعمل للآخرة . ولهذا كان كل فرد فى المجتمع المسلم عاملاً ، لا فرق بين العمل اليدوى والعمل الذهنى ، كما لا تفرقة بين العمل فى التجارة والزراعة والصناعة وغيرها .

فالعمل هو الوظيفة الطبيعية لكل إنسان ، ولذلك كان واجباً على كل قادر عليه ، وممنوع على القادر أن يقعد ليعيش عالة يمد يده للناس فاليد العليا خير من اليد السفلى ، وأفضل الكسب ما كان من عمل اليد .

(١) آية ٩٧ سورة النحل .

(٢) آية ٣٣ : سورة فصلت .

المبحث الرابع

الإسلام دين العمل

فرض الله عز وجل على العباد السعى في الأرض لطلب الرزق . يقول سبحانه:

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١) فجعل الاكتساب سببا للعبادة .

وفى الحديث الصحيح . أن رسول الله ﷺ أحس في يدي واحد من صحابته خشونة عند مصافحته ، فسأله من أى شيء حدث ذلك لك ، فقال الصحابي : أكد وأكذح لأنفق على عيالي ، فقبل النبي ﷺ يده وقال : كفان يحبهما الله تعالى .
وقد خفف الله سبحانه وتعالى عن الرسول والمؤمنين أعباء قيام الليل . حتى لا يكون ذلك التعبد عائقاً لبعضهم عن طلب الرزق بالنهار . فحينما أمر الله رسوله بقيام الليل ، وافقه على ذلك أصحابه الذين يقتدون به فى كل خير ، فكانوا يقومون بإحياء الليل بالعبادة ، ويسعون بالنهار للعمل وأثار السهر بادية عليهم . فلا يتمكنون من ذلك إلا بجهد ومشقة شديدين ، فخفف الله عنهم فى ذلك ليتمكنوا من نشر الدين وعمارة الكون .

وفى ذلك يقول الحق تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَقَرِّضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تَقْدِمُوا أَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢) .

(١) الآية ١٠ : سورة الجمعة .

(٢) آية ٢٠ : سورة المزمل .

فالتوازن الحكيم بين العبادة والسعى فى طلب الرزق مطلوب . وليس من المصلحة للناس ولا للحياة . أن يطغى أحد العاملين على الآخر فينفيه أو يضعفه .
وإذا كان معلوماً أن الإنسان لا يستطيع القيام بالعبادة إلا إذا كان صحيح الجسم - ولا يصح الجسم إلا بالغذاء . كان الغذاء واجباً لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . ولذلك كان عمر بن الخطاب . يقدم درجة الكسب على درجة الجهاد فيقول : لأن أموت بين شعبتي رحلى أضرب فى الأرض أبتغى من فضل الله أحب إلى أن أقتل مجاهداً فى سبيل الله^(١) . لأن الله تعالى قدم الذين يضربون فى الأرض يتتغون من فضله على المجاهدين بقوله تعالى ﴿ وَأَخْرُوجُ يُضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾^(٢) .

(١) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . لابن الجوزى ص ٢٠٦ دار الكتب العلمية . بيروت
(٢) آية ٢٠ : سورة المزمل

المبحث الخامس

اتساع ميادين العمل

لا توجد في الإسلام قيود أو حدود على العمل . فلكل فرد أن يعمل فيما يناسب قدراته وملكاته ، مادام عمله لا يضر بالغير ، ولا يخرج من دائرة الحلال إلى الحرام . فللإنسان أن يعمل في الأرض برها ومائها ، وهوائها وجوفها . في الزراعة والصناعة والملاحة والتعدين . باستخراج كنوز الأرض من المناجم .

يقول الحق سبحانه ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِ ۖ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١٢) وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَكِرُونَ ﴿١١﴾ . ويقول عز وجل ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا ثَلَبُوسًا وَتَرَى الْفُلُكَ مَوَازِيرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٢) .

هذه الآيات وغيرها تحث الناس على السعى في طلب الرزق ، وعلى عمل كل ما يرقى بالإنسانية في كل مجالات الحياة . فكل ما في السموات والأرض مسخر من الله تعالى لسعادة الإنسان ، وسد حاجاته ومطالبه . حتى لا يكون عالة على غيره يسأل الناس . ولا أدل على اتساع مجالات العمل أمام كل طامح . من سيرة رسولنا الكريم ﷺ ، فقد مارس من العمل ما تهيأ له في فترات حياته .

عمل أجيراً في أهل مكة يرعى لهم غنمهم على قراريط . يقول ﷺ : ما من نبي إلا رعى الغنم ، فقال أصحابه : وأنت ، فقال نعم ، كنت أرهاها على قراريط لأهل مكة (٣) وكذلك عمل عليه الصلاة والسلام تاجراً في مال خديجة بنت خويلد وكانت امرأة تاجرة تستأجر الرجال في مالها .

(١) آيتا ١٢ ، ١٣ : سورة الجاثية ،

(٢) آية ١٤ : سورة النحل .

(٣) رواه البخاري .

قال ابن هشام : وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ، ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال فى مالها .. فلما بلغها عن الرسول ﷺ ما بلغها من صدق حديثه ، وعظم أمانته ، وكرم أخلاقه ، بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج فى مال لها إلى الشام تاجراً ، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار ، مع غلام لها يقال له ميسرة . فقبله ﷺ منها ، وخرج فى مالها ذلك وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام ... ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التى خرج بها ، واشترى ما اراد أن يشتري ، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة (١) .

وحين طلب المشركون من النبى ﷺ دليلاً على صدق دعوته ، بأن يجعل الله له قصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغى ، فأنت تقوم بالأسواق كما تقوم وتلتمس المعاش كما تلتمسه (٢) .

وإذا كانت طبيعة الحياة قد فرضت على العرب بعض الأعمال كالرعى والتجارة . فإن الإسلام يدعو إلى كل عمل يحقق به الفرد ذاته ، ويخدم به مجتمعه ويرقى بأمته . والقرآن الكريم يشير إلى كثير من الصناعات التى تتقدم بالبشرية ، وترقى بمستوى الشعوب ، ويحفزنا إلى الانخراط فيها . لنعيش أعزة فى حياتنا ، مستغنين بما عندنا .

ففى الزراعة يقول القرآن الكريم : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾ (٢٤) أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعَبْنَا وَقَضَبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَّكُمْ وَلَآئِنَّمَكُم مِّنْ شَيْءٍ (٣٢) .

ويقول ﷺ : ما من مسلم يغرس غرساً ، أو يزرع زرعاً ، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة . إلا كان له به صدقة (٤) .

وفى الصناعة يشير القرآن الكريم إلى كثير من أنواعها . ففى صناعة الملابس يقول تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٠٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٣١٦ .

(٣) آيات ٢٤ إلى ٣٢ سورة عبس .

(٤) البحارى .

ذَلِكَ خَيْرٌ ﴿١﴾ .

ويقول : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴾ (٢) .

ويقول : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ (٣) . ويقول : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَخَذُونَ آيْمَانَكُمْ دَخْلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يُلُوكُمْ اللَّهُ بِهِ وَلَيَبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (٤) . وفى صناعة البيوت والدور قال :

﴿ قيل لها ادخلى الصرح فلما رآته حسبه لجة وكشفت عن ساقها قال إنه صرح ممر من قوارير ﴾ (٥) ويقول : ﴿ واذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (٦) . وفى صناعة المعادن يقول : ﴿ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ (٧) ويقول : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِيبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ (١٥) أَنْ اْعْمَلْ سَابِغَاتٍ

(١) آية ٢٦ سورة الأعراف .

(٢) آية ٨٠ سورة النحل .

(٣) آية ٨١ سورة النحل .

(٤) آية ٩٢ سورة النحل .

(٥) آية ٤٤ سورة النمل .

(٦) آية ٧٤ سورة الأعراف .

(٧) آية ٩٦ سورة الكهف والقطر : النحاس المذاب .

وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلَسْلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوًّا
شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن
يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾

وهكذا يفتح الإسلام مجالات العمل الرحبة . على ظهر الأرض وفي جوفها . في
أجواء الفضاء وما فوقها يقول تعالى : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنْفُذُوا
مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾ (٢) .

(١) آيات ١٠، ١١، ١٢ ، سورة سبأ .

(٢) آية ٣٣ سورة الرحمن .

بعض الأعمال محرمة

وإذا كان الإسلام يحفز على العمل ، ويدفع الناس إليه ليعيشوا في كرامة وعزة ، ويفسح المجال لكل عمل بدني أو ذهني . يخدم المجتمع ويدفع بالأمة إلى طريق الرقي والتقدم . فقد حرم من الأعمال ما فيه ضرر بالفرد والجماعة . سواء كان ضرراً مادياً أو معنوياً . وبذلك تقوم الروابط بين الناس على دعائم من المعاني النبيلة والصلوات الحميمة كالتراحم والتعاطف والتكافل والتواصى بالحق والعدل وكل ما يمس الإنسان في نفسه أو عقله أو ماله أو نسله أو عرضه ، حرمه الإسلام لما فيه من الأضرار البالغة بالفرد والمجتمع .

تحريم القتل :

ولكرامة النفس الإنسانية عند الله . حرم القتل والانتحار . يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ (١) . ويقول سبحانه : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (٢) .

تحريم الخمر :

ولأن العقل رمز التكريم الإلهي للإنسان ، وبه عرف ربه وعبدته ، حرم الإسلام

(١) آيات ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ : سورة النساء .

(٢) آية ٩٣ . سورة النساء .

الخمر ، التى تجنى على العقل ، فتمنعه من التفكير السليم الذى يقوده إلى الخير ، ويحول بينه وبين الشر .

يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴾ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ (١) .

تحريم صناعتها :

ولا يقتصر الإسلام فى تحريم الخمر على شربها فقط . وإنما يحكم بالحرمة على كل ما يتصل بها . عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : لعن الله الخمر وشاربها وساقبها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها (٢) .

وكل ما يؤثر على العقل فيخرجه عن طبيعته يكون حكمه حكم الخمر . فتحرم زراعته وتصنيعه وترويجه وتعاطيه .

وكذلك يحرم كل عمل ينطوى على السرقة والغش والرشوة واستغلال النفوذ والتطفيف فى الكيل والميزان والمقامرة . والسحر والكهانة .

فالسرقه لعظم خطرهما على المجتمع والفرد . شدد القرآن الكريم العقوبة عليها .

يقول سبحانه : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣) .

والغش فى السلعة والصنعة محرم كذلك لأن الغاش يأخذ أكثر مما يستحق ، وفى

ذلك ظلم وجور ، ويدخل فى باب الغش . التطفيف فى الكيل والميزان يقول تعالى :

﴿ وَيَلِّ لِلْمُطَفِّفِينَ ۚ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۚ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ

(١) آيتا ٩٠ ، ٩١ : المائدة .

(٢) سنن أبى داود .

(٣) آية ٣٨ من سورة المائدة .

يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١﴾ .

ويقول رسول الله ﷺ : « من غش أمتي فليس مني » (٢).

وعن حكيم بن حزام رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا . فإن صدقا وبينا . بورك لهما فى بيعهما » وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما » (٣) .

وكذلك أخذ الرشوة يقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْثِلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤) .

أي لا تدلوا بأموالكم إلى الحكام ، لا تصانعوهم بها ، ولا ترشوهم ليقطعوا لكم حقاً لغيركم ، وأنتم تعلمون أنه لا يحل لكم . وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لعن الله الراشئ والمرتشئ فى الحكم » . أخرجه الترمذى وقال : حديث حسن . تحريم استغلال النفوذ .

فى ظل استغلال النفوذ يتوارى العدل . ويتعش الظلم . وتحل الحسرة والمرارة نفوس المظلومين والمقهورين .

من أجل هذا لايجز الإسلام تملك المال ، إلا إذا جاء عن طريق جهد حقيقى سواء فى ذلك الجهد الجسمانى أو الجهد العقلى ، ولذلك حرم الإسلام المقامرة والمراهنة وأشباههما . واعتبر المال الذى جاء عن طريقهما مالا حراما .

ومن هذا القبيل استغلال الموظف العام سلطة وظيفته فى التكسب ، فأصحاب النفوس الضعيفة يتوددون إلى أصحاب المناصب طلباً لغنم لا يستحقونه . أو لحمايتهم من منافسة الغير لهم ، أو لتمكينهم من إسقاط حق الدولة فى أموالهم .

وصاحب النفوذ لايصنع ذلك مجاناً ، بل يأخذ مايشبع نهمه من المال « لذلك أجاز الإسلام لولى الأمر أن يرد هذه الأموال لبيت المال لإنفاقها فى مصالح المسلمين .

(٤) آيات ١ - ٥ سورة المطففين ..

(٢) رواه الطبرانى .

(٣) رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم .

(٤) آية ١٨٨ سورة البقرة .

وهذا مانسميه فى أيامنا (الكسب غير المشروع) ، وقد أرسى قاعدته النبى ﷺ قبل أربعة عشر قرناً . فقد روى البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى حميد الساعدى أن رسول الله ﷺ استعمل عاملاً فجاءه العامل حين فرغ من عمله فقال : يا رسول الله هذا لكم ، وهذا أهدى لى ، فقال له : أفلا قعدت فى بيت أبىك وأمك فنظرت أبيهدى لك أم لا ، ثم قام رسول الله ﷺ عشية بعد الصلاة فتشهد وأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد فما بال العامل نستعمله فيأتينا فيقول هذا من عملكم وهذا أهدى لى ، أفلا قعد فى بيت أبيه وأمه فنظر هل يهذى له أم لا ، فوالذى نفس محمد بيده ، لا يغفل أحدكم منها شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه . إن كان بعيراً جاء به له رغاء ، وإن كانت بقرة جاء بها لها خوار ، وإن كانت شاة جاء بها تيعر . فقد بلغت^(١) ، ثم ضم رسول الله ﷺ الأموال كلها إلى بيت مال المسلمين .

وإذا كان الاقتداء بالنبى ﷺ دأب خلفائه جميعاً . فقد حفظ لنا التاريخ ما صنعه عمر بن الخطاب ، من حرص على مال المسلمين ومحاسبة العمال والولاة ، على الأعمال التى لا يجوز لهم مزاولتها ، كالاشتغال بالتجارة وما إليها ، فإن فعلوا أخذوا ما حصلوا عليه ، وأعادوه إلى المال العام ، وقد طبقه على ولاته فى مصر والبصرة ، وطبقه على ولديه عبدالله وعبيد الله .

فقد روى الإمام مالك فى كتابه (الموطأ) أن عبد الله وعبيد الله ابنى عمر بن الخطاب رجعا بعد معركة غنم فيها المسلمون « فاشترى من أمير الجيش بأربعين ألف درهم ، فلما قدما على أبيهما أنكر عليهما ما فعلا خشية أن يكون قائد الجيش باع لهما بالرخيص » مجاملة لأبيهما أمير المؤمنين .

قال : حدثنى مالك . عن زيد بن أسلم عن أبيه أنه قال : خرج عبدالله وعبيد الله ابنا عمر بن الخطاب فى جيش العراق ، فلما قفلا مرا على أبى موسى الأشعرى ، وهو أمير البصرة ، فرحب بهما وسهل ، ثم قال : لو أقدر لكما على أمر أنفعكما به لفعلت . ثم قال : بلى . هاهنا مال من مال الله أريد أن أبعث به إلى أمير المؤمنين « فأسلفكما فبتتاعان

(١) لا يغفل . لا يخون . الرغاء صوت البعير . الحوار : صوت البقرة ، اليعار كغراب : صوت الغنم أو الماعز أو

الشديد من أصوات التاة ، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ج ٢ ص ٢٤٤ .

به متاعاً من متاع العراق ، ثم تبيعانه بالمدينة ، فتؤديان رأس المال إلى أمير المؤمنين ويكون الربح لكما . فقالا : وددنا ذلك ، ففعل وكتب إلى عمر بن الخطاب أن يأخذ منهما المال فلما قدما باعاً فأربحا ، فلما دفعا ذلك إلى عمر قال : أكل الجيش أسلفه مثل ما أسلفكما ؟ قالا : لا . فقال عمر بن الخطاب : ابنا أمير المؤمنين فأسلفكما . أديا المال وربحه . فأما عبد الله فسكت . وأما عبيد الله فقال : ما ينبغي لك يا أمير المؤمنين هذا . لو نقص هذا المال أو هلك لضمنا . فقال عمر : أدياه « فسكت عبد الله » وراجع عبيد الله ، فقال رجل من جلساء عمر : يا أمير المؤمنين لو جعلته قراضاً ، فأخذ عمر رأس المال ونصف ربحه . وأخذ عبد الله وعبيد الله بنا عمر بن الخطاب نصف ربح المال^(١) .

تحريم المقامرة :

والميسر وهو المقامرة حرام « سواء كان لعباً بالورق ، أو مسابقة بالخيول ، لما فيه من الاستيلاء على أموال الناس بغير تعب ، ومن غرس العداوة والبغضاء في الناس . فهو من باب أكل أموال الناس بالباطل .

قال رسول الله ﷺ : « من قال لصاحبه تعالى أقامرك . فليتصدق »^(٢) . فإذا كان مجرد القول يوجب الكفارة أو الصدقة . فما ظنك بالفعل .

تحريم السحر :

وكذلك حرم الإسلام السحر ، ومنع التكسب به واحتزافه لما فيه من تفرير بالناس وسلب أموالهم بدعوى تحقيق مطالبهم ، وحل مشاكلهم .

وقد ذهب كثير من الفقهاء إلى عد السحر من الكفر . قال الإمام الذهبي : لأن الساحر لا بد وأن يكفر . قال الله تعالى ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ

(١) الموطأ ٤٢٧ طبع الشعب .

(٢) رواه البخارى .

فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ . وما للشيطان الملعون غرض في تعليمه الإنسان السحر لإلشرك به (٢) .

لاغربة بعد ذلك أن يقرر الفقهاء أن عقوبة الساحر القتل . مستدلين بأحاديث رسول الله ﷺ . ومنها : اجتنبوا السبع الموبقات . قيل : ماهن يارسول الله . قال : الشرك بالله . والسحر . وقتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق . وأكل مال اليتيم . وأكل الربا . والتولى يوم الزحف . وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات (٣) . والموبقات أى المهلكات .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا . أن رسول الله ﷺ قال : « الرقى والتسمائم والتولة شرك » (٤) .

والتسمائم : جمع تميمة وهى خرزات يعلقها الجهال على أولادهم ودوابهم . يزعمون أنها ترد العين ، وهذا من فعل الجاهلين ، ومن اعتقد ذلك فقد أشرك .
والتولة : نوع من السحر وهو تحبيب المرأة إلى زوجها ، وجعل الحديث الشريف هذا من الشرك . لاعتقاد العامة أن ذلك يؤثر بخلاف ما قدر الله .

أما الرقية بالقرآن وبأسماء الله الحسنى . فهى مباحة . لأن النبى ﷺ كان يرقى الحسن والحسين فيقول ﷺ : « أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة . ومن كل عين لامة » .

يقول الأستاذ الإمام محمد عبده : وجاء ذكر السحر فى القرآن الكريم فى مواضع مختلفة . وليس من الواجب أن نفهم منه ما يفهم هؤلاء الصبيان (٥) . فإن السحر فى

(١) آية ١٠٢ سورة البقرة

(٢) الكبائر ص ١١ .

(٣) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى .

(٤) رواه أبو داود وأحمد .

(٥) أى الذين يرون أن النبى ﷺ سحر .

اللغة معناه : صرف الشيء عن حقيقته . قال الفراء فى قوله تعالى (فأنى تسحرون) . أى أنى تؤفكون وتصرفون . سحره وأفكه بمعنى واحد . وماذا علينا لو فهمنا السحر الذى يفرق بين المرء وزوجه . تلك الطرق الخبيثة الدقيقة . التى تصرف الزوج عن زوجته . والزوجة عن زوجها ؟ وهل يبعد أن تكون هذه الطرق مما يتعلم وتطلب له الاساتذة . ونحن نرى أن كتباً ألفت ودروساً تلقى لتعليم أساليب التفريق بين الناس لمن يريد أن يكون من عمال السياسة فى بعض الحكومات ؟ وقد يكون ذكر المرء وزوجه من باب التمثيل ، وإظهار الأمر فى أقبح صورة . أى بلغ من أمر ما يتعلمونه من ضروب الحيل وطرق الإفساد ، أن يتمكنوا من التفريق بين المرء وزوجه . وسياق الآية لا يأباه . وذكر الشياطين لا يمنعنا من ذلك . بعد أن سمى الله خبثاء الإنس المنافقين بالشياطين . قال : (وإذا خلوا إلى شياطينهم) وقال : (شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض) وسحر سحرة فرعون كان ضرباً من الحيلة . ولذلك قال : (يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) وما قال : إنها تسعى بسحرهم^(١) .

تحريم الكهانة :

ومن الأعمال التى حرمها الإسلام : الكهانة ، وهى تعاطى الخبر عن الكائنات ، وإخبار بالغيب على سبيل الظن والتخمين ، وادعاء معرفة الأسرار ، وكانت شائعة فى الجاهلية ، ويلحق بها قراءة الفنجان والأثر وضرب الدودع . إلى غير ذلك من الأمور التى ابتدعها الناس حديثاً ، كالذى يدرب فأراً أبيض ، ويضع قصاصات من الورق فى صندوق ، ويجعل الفأر يلتقط إحدى القصاصات . وما يكون مكتوباً فيها . فهو حظ ومستقبل من يدفع لصاحب الفأر .

ويقول ابن خلدون فى المقدمة . عن هذه الخزعبلات . إنها من المنكرات الفاشية فى الأمصار . لما تقرر فى الشريعة من ذم ذلك . وأن البشر محجوبون عن الغيب . إلا من أطلعه الله عليه من عنده فى نوم أو ولاية .

(١) تفسير جزء عم ص ١٣٩ - ١٤٠ ، طبع كتاب الشعب .

ويقول ﷺ : « من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول . فقد كفر بما أنزل على محمد » (١) .

من هنا جاء التحريم لهذه الأعمال . وحرمة المال الذي يأتي من ورائها ، فلا يحل أخذه والانتفاع به .

تحريم تزيف النقود :

ولخطورة هذا العمل عاجله الفقهاء من قديم ، وبينوا ما يترتب عليه من أثر سئ في حياة الناس ، وقد وصفه الإمام الغزالي بأنه ظلم ، وقال : إذ يستضر به المعامل إن لم يعرف . وإن عرف فسيروجه على غيره . فكذلك الثالث والرابع . ولا يزال يتردد في الأيدي . ويعم الضرر ويتسع الفساد . ويكون وزر الكل ووباله راجعا إليه . فإنه هو الذي فتح هذا الباب .

قال رسول الله ﷺ : « من سن سنة سيئة فعلم بها من بعده . كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئا » (٢) . وقال بعضهم : إنفاق درهم زيف أشد من سرقة مائة درهم . لأن السرقة معصية واحدة . وقد تمت وانقطعت . وإنفاق الزيف بدعة أظهرها في الدين . وسنة سيئة يعمل بها من بعده . فيكون عليه وزرها بعد موته إلى مائة سنة . أو مائتي سنة . إلى أن يفنى ذلك الدرهم . ويكون عليه ما فسد من أموال الناس بسنته . وطوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه . والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة ومائتي سنة أو أكثر يعذب بها في قبره . ويسأل عنها إلى آخر انقراضها (٣) .

تحريم الاحتكار :

يرى الاقتصاديون أن حرية السوق في البيع والشراء ، ضمانا لاستقرار الحالة الاقتصادية في دولة من الدول ، وأن التدخل من جانب الدولة ، أو من التجار الكبار

(١) رواه أحمد والحاكم .

(٢) رواه مسلم عن جرير بن عبد الله .

(٣) إحياء علوم الدين ص ٧٧٧ طبع الشعب .

لفرض سعر أو نظام معين . ضار بالسوق . وبالتالي يضار التاجر الصغير . ويضار المستهلك . ولعل ماعيناه في السنوات الأخيرة من تفشى السوق السوداء . خير دليل على ذلك . ولذلك كان الإسلام أسبق النظم إلى تحريم ذلك ومنعه . فقد حرم احتكار التجار لسلعة من السلع . وبيعها بالسعر الذى يحدده .
روى معمر بن عبدالله العدوى . أن النبي ﷺ قال : لا يحتكر إلا خاطيء . وكان سعيد يحتكر الزيت (١) .

يقول الفقهاء : إن الاحتكار محرم ، من غير فرق بين قوت آدمى والدواب وبين غيره . والتصريح بلفظ الطعام فى بعض الروايات . لا يصلح لتقييد بقية الروايات المطلقة بل هو من التنصيص على فرد من الأفراد ، التى يطلق عليها المطلق . وذلك لأن نفى الحكم عن غير الطعام . إنما هو لمفهوم اللقب ، وهو غير معمول به عند الجمهور . وما كان كذلك . لا يصلح للتقييد على ما تقرر فى الأصول (٢) .
ويقول ﷺ : من دخل فى شيء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم . كان حقا على الله أن يقعه بعظم من النار يوم القيامة (٣) .

ومن الأعمال التى حرمها الإسلام كذلك التى تتصل بموضوع الاحتكار : ملاحقة البائع ، ومحاولة شراء السلعة منه قبل وصوله إلى السوق .
روى أبو هريرة قال : نهى النبي ﷺ أن يتلقى الجلب . فإن تلقاه إنسان فابتاعه . فصاحب السلعة فيها بالخيار إذا ورد السوق (٤) .

والجلب بفتح اللام : مصدر بمعنى المفعول المجلوب . يقال : جلب الشيء : جاء به من بلد إلى بلد للتجارة .

وقد قال العلماء : إنه لا يجوز تلقىهم للبيع منهم ، كما لا يجوز الشراء ، لأن العلة

(١) رواه مسلم وأحمد وأبو داود .

(٢) انظر : نيل الأوطار للإمام الشوكانى ج ٥ ص ٢٢١ .

(٣) رواه الإمام أحمد ..

(٤) رواه مسلم وأحمد وأبو داود وغيرهم .

التي هي مراعاة نفع الجالب أو أهل السوق . أو الجميع . حاصلة في ذلك . وظاهر النهي المذكور في الحديث . عدم الفرق بين أن يتدّى المتلقى الجالب بطلب الشراء أو البيع أو العكس (١)

(١) نيل الأوطار ج ٥ ص ١٦٧ .

دعوى باطلة



إذا كان الإسلام يوجب العمل على كل قادر عليه . كما رأينا من قبل . فإنه بذلك يحرم البطالة والقعود عن الكسب « فالقاعد عن الكسب عالة على من يعمل ، يقاسمه لقمته ، ويمتص جهده ، فيكون عامل ضعف ، بدل أن يكون عامل قوة . فإن مد يده يستجدي الناس طعامه « فقد أذل نفسه وأهانها ، وأهدر كرامته ، وإن لم يمد يده مات جوعا . وألقى بنفسه إلى التهلكة والله تعالى يقول : ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١) .

ومن عجيب الفكر أن يدعى جهلة التصوف أن العمل ينافى التوكل على الله . فلا يحل إلا عند الضرورة تناول الميتة .

وقد عرض الإمام محمد بن الحسن الشيباني أدلة القائلين بحرمة التكسب ورد عليها بالتفنيد والإبطال ، وما جاء في تأييد رأيهم قولهم : وقد أمرنا بالتوكل . قال تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) فما يتضمن نفى ما أمرنا به من التوكل يكون حراما ، والدليل على أنه ينفى التوكل قوله ﷺ : لو توكلتم على الله حق التوكل . لرزقكم كما ترزق الطير تغدو خماسا وتروح بطانا (رواه الترمذى) .

وقال الله تعالى : ﴿ وفي السماء رزقكم وما توعدون ﴾ (الذاريات ٢٢) . وفي هذا حث على ترك الاشتغال بالكسب . وبيانه أن ما قدر له من الموعود يأتيه لامحالة . وقال عز وجل : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ (طه ١٣٢) . والخطاب وإن كان لرسول الله ﷺ فالمراد منه أمته . فقد أمروا بالصبر والصلاة ، وترك الاشتغال بالكسب بطلب الرزق ... وما في

(١) آية ١٩٥ سورة البقرة .

(٢) آية ٢٣ سورة المائدة

القرآن من ذكر البيع والشراء فى بعض الآيات ليس المراد التصرف فى المال والكسب . بل المراد تجارة العبد مع ربه عز وجل ، ببذل النفس فى طاعته ، والاشتغال بعبادته . فذلك يسمى تجارة .

قال عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة ١١١) .

وأن الصحابة كانوا يلزمون المسجد ، فلا يشتغلون بالكسب . ومدحوا على ذلك . وجاء فى رده عليهم . وهدم دعوتهم قوله : وحجتنا فى ذلك قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

(البقرة ٢٧٥)

وقال عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾

(النساء ٢٩)

وقال عز وجل ﴿ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً ﴾ (البقرة ٢٨٢)

ففى هذه الآيات تنصيص على الحل « وفى بعضها ندب إلى الاشتغال بالتجارة فمن يقول بحرمتها فهو مخالف لهذه النصوص ، وإنما يحمل كلام صاحب الشرع عند الإطلاق على ما يتفاهمه الناس فى مخاطبتهم . لأن الشرع إنما خاطبنا بما نفهمه . ولفظة البيع والشراء حقيقة للتصرف فى المال بطريقة الاكتساب « والكلام محمول على حقيقة لا يجوز تركها إلى نوع من المجاز إلا عند قيام الدليل ... ثم قال : ودعواهم إن

كبار الصحابة رضوان الله عليهم كانوا لا يكتسبون دعوى باطل . فقد روى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان بزازا ، وعمر كان يعمل بالأدم ، وعثمان كان تاجراً يجلب إليه الطعام فيبيعه . وعلى كان يكتسب على ما روى أنه أجر نفسه غير مرة حتى أجر نفسه من يهودى ، فى حديث فيه طول ثم يقول : والعجب من الصوفية أنهم لا يمتنعون من تناول طعام من أطعمهم من كسب يده وريح تجارته ، مع علمهم بذلك ، فلو كان الاكتساب حراما لكان المال الحاصل به حرام التناول . لأن ما يتطرق إليه بارتكاب الحرام يكون حراما (١) .

إن المجتمع فى أصله أفراد ، بهم يتكون وعليهم يقوم ، ولا يقوى المجتمع ويسعد . إلا بقوة أفراد وسعادتهم . ولا تكون القوة إلا بالعمل الصالح الدائب ، ولا تتحقق السعادة قبل توفر مطالب الحياة الآمنة الواعدة . وإذا كان بعض أفراد الأمة يعمل وبعضها يستهلك ولا يعمل . فستصاب الأمة بالجمود ، والأمم العاملة حولها تتقدم مع تقدم الزمن .

نعم هناك من أفراد المجتمع من يقعد به المرض ، أو تمنعه الشيخوخة ووهن القوى من العمل ، وهؤلاء طائفة لا يخلو منها مجتمع ، وهم فى الحقيقة من عوامل القوة . وليسوا عامل ضعف كما قد يظهر من النظرة الأولى ، فهم يتحقق الضمان الاجتماعى بينهم وبين الأغنياء ، وعن طريقهم يتم الواجب الذى فرضه الله تعالى على الأغنياء فى فائض أموالهم .

وفرق بين هؤلاء ، وبين من ضعف إيمانهم فاستكانوا إلى المذلة ، واتخذوا من التزى .

بزى الفقر والمسكنة ، وسيلة لانتهاك أموال الناس ، وجعلوا التسول حرفتهم . هؤلاء سولت لهم نفوسهم البطالة ، فمدوا أيديهم بالسؤال ، وجعلوا مشروعية الصدقة فى الإسلام سبيلا إلى الجمع عن طريق التمسكن . والظهور بمظهر الفقراء المستحقين وبذلك استغلوا عاطفة الناس بماء وجوههم . وليسوا فى الواقع إلا أرباب سلب ونهب

(١) الاكتساب فى الرزق المستطاب هدية مجلة الأزهر من ص ٣٠ إلى ٣٩ بتصرف يسير .

بالغش والخديعة ، التى تصرف الناس عن حقيقة أمرهم ، وبذلك جعلوا من أنفسهم عوامل هدم لكرامة الجماعة ، التى يجب أن يعيش أفرادها على أساس من العزة والتعفف والكرامة .

إن الإسلام يطلب من الإنسان القادر على العمل أن يعمل تحصيلاً لرزقه ، وحفظاً لماء وجهه ، ويشدد عليه فى ذلك ، ويضع السعى فى سبيل العيش فى مستوى العبادة .
فيأتى الخامل ليستحلل من تلك الأوامر ، وليخلع عن نفسه ثوب الكرامة ۝ يتخذ التسول صنعة بها يجمع المال ، وعن طريقها يتعيش .

يقول الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت رحمه الله تعالى : المسكين الذى يستحق العطف ويجب له البذل ، هو من قعد به المرض عن السعى والعمل ، وهو من سعى إلى عمل فسدت فى وجهه السبل ، هذا هو المسكين . ومع هذا فشأنه أن تدل عليه حالته .
فيعطف عليه أهل الخير والسخاء . ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ البقرة ٢٧٣ ...

إن تنظيم الإنفاق فى هذه الدائرة ، دائرة الفقر والمسكنة ، من أوجب الواجبات على المصلحين ، والقائمين بشؤون المجتمع ۝ عليهم أن يتعرفوا المحتاجين حقيقة ، وبخاصة الأسر التى أخنى عليها الدهر ، وصارت بعد العزة إلى مذلة ، وبعد الغنى واليسار إلى الحاجة والمسكنة ، ويمنعهم الحياء عن الظهور بمظهر السائلين أو المتسولين ، وقد يكون من أقرب الطرق لمعرفة هؤلاء تقسيم المدن إلى مناطق يكلف أبناء كل حى من أحيائها بمعرفة المحتاجين للعمل أو المعونة فيها ، وبما يجمعون من أهل الخير واليسار يسدون حاجة المحتاج ، بنفقة يدفعونها ، أو عمل يهيئونه ، ويجرى هذا التنظيم فى كل قرية (١) .

(١) منهج القرآن فى بناء المجتمع ص ١٠٠ - ١٠١ ، طبع دار الهلال .

المبحث الثامن

للمرأة أن تعمل

يجعل الإسلام العمل قرين الإيمان . بيانا لأهميته وضرورته لحياة الناس . فيقرن العمل بالإيمان في أكثر من ثمانين آية في القرآن الكريم ، وذلك يرفعه إلى درجة العقيدة ، ويربطه بها ، إشارة إلى ضرورتهما في تعمير الأرض وإصلاحها . حتى تتحقق سعادة الإنسان . بتوفر حاجاته ورغباته المشروعة ، ولهذا كان العمل - للرجل والمرأة - واجبا وحقا في نفس الوقت . لأن الله تعالى أمر به فقال عز وجل : ﴿ وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

وقد أصدر الأزهر الشريف فتوى جماعية - وليست رأيا شخصيا - بحق المرأة في العمل ، ونظرا لأهميتها العلمية ، وتعميما لفائدتها ، أوردها بنصها من الكتاب الذي أصدره الأزهر الشريف بعنوان (بيان الناس) :

وحجاب المرأة لا يمنعها أن تمارس أية مهنة شريفة في بيتها ، بل لها أن تخرج من البيت لمزاولة هذه المهنة ، وإن كان الاستقرار في البيت أفضل ، ويكون خروجها إذا احتاجت للعمل ، أو احتاج العمل لها ، وذلك من باب التنسيق والتوفيق بين مطالب الرجل والمرأة . وبين واجبات كل منهما . في البيت وخارج البيت . أما الغمل في حد ذاته فمكفول لكل إنسان يستطيعه ويناسبه ، إذا قصد به الخير ، ولم ينتج عنه شر .

قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٥٧ - النحل) .

وقال : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ

(١) آية ١٠٥ سورة التوبة .

بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَأَلْذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا
وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ
عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ - آل عمران .

ومما ورد في فضل استقرارها في البيت :

١ - قوله ﷺ : النساء عورة وإن المرأة تخرج من بيتها وما بها بأس . فيستشرفها
الشيطان فيقول : إنك لا تمرين بأحد إلا أعجبته . وإن المرأة لتلبس ثيابها فيقال : أين
تريدين ؟ فتقول : أعود مريضا أو أشهد جنازة أو أصلى في المسجد ، وما عبدت امرأة
ربها مثل أن تعبد في بيتها (رواه الطبراني بإسناد حسن) .

٢ - وقوله لامرأة أبي حميد الساعدي . التي قالت له : إنني أحب الصلاة معك « قد
علمت أنك تحبين الصلاة معي ، وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك ،
وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك ، وصلاتك في دارك خير من صلاتك
في مسجد قومك ، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي » (رواه
احمد وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما) . وخروجها من البيت قد يكون واجبا
لتحصيل قوتها وقوت من تلزمها هي نفقتها . إذا لم يكن هناك عائل قادر على الكسب .
وقد أذن النبي ﷺ لنسائه أن يخرجن لقضاء حوائجهن (البخاري عن عائشة) .

والحوائج أهم من أن تكون إزالة ضرورة . فغيرها من الحوائج يقاس عليها . كما يجب
عليها الخروج لطلب علم واجب ، إن لم يمكنها ذلك في بيتها بأي طريق من الطرق .
فطلب العلم فريضة « وكان النساء يخرجن لسؤال النبي ﷺ عما يهمهن من أمور الدين
وبلغ من حرصهن عليه طلب تخصيص يوم لهن ، يسألنه فيه عن الدقائق الخاصة التي
يستحيا من ذكرها بحضر الرجال ، ولهذا نهى الرسول الأزواج أن يمنعوا زوجاتهم من
الذهاب إلى المسجد إذا استأذنهم في ذلك ، فإن ذهابهن إليه لم يكن لمجرد الصلاة
فصلاتهن في بيوتهن أفضل ، ولكن ذهابهن للتفقه في الدين . وسماع الوحي . والتعلم
للصلاة عمليا خلفه .

ففي الحديث « إذا استأذنكم نساؤكم إلى المساجد فاذنوا لهن » (رواه
مسلم) وأمرهن أن يخرجن لصلاة العيد ، واستحثهن على التبرع من أجل الفقراء كما

يجب عليها الخروج لعمل تخصصت فيه ، ولا يوجد غيرها واحتيج إليها فيه ، وكذلك للإسهام فى الجهاد بما يتناسب معها إذا لزم الأمر . والإسهام فى الخير عند نزول الكوارث ، وفى الأمور الواجبة تخرج لعمل خيرى مندوب . كطلب علم زائد على القدر الواجب ، وكذلك لمساعدة زوجها فى كسب عيشه .

فقد ورد عن أسماء بنت أبى بكر أنها قالت : تزوجنى الزبير وما له فى الأرض من مال ولا مملوك ، ولا شيء غير فرسه وناضحه - بعير - فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته وأسوسه وأدق النوى لناضحه وأعلفه ، وأستقى الماء وأخرز غربه - أخيط دلوه - وأعجن وكنت أنقل النوى على رأسى من ثلث فرسخ . حتى أرسل إلى أبو بكر بجارية . فكفتنى سياسة الفرس ، فكأنما أعتقتنى ، ولقيت رسول الله ﷺ يوما ومعه أصحابه . والنوى على رأسى فقال : « إخ إخ » لينىخ ناقته ويحملنى خلفه ، فاستحييت أن أسير مع الرجال ، وذكرت الزبير وغيرته ، وكان أغير الناس ، فعرف رسول الله ﷺ أنى استحييت . فجئت الزبير فحكيت له ماجرى ، فقال : والله لحملك النوى على رأسك أشد من ركوبك معه (رواه البخارى ومسلم) .

ويلاحظ فى هذا الحديث أن عمل المرأة إذ ذاك كان مؤقتا بقدر الحاجة . فإن أسماء كانت تقوم به متعبة حتى أراحتها الجارية . كما أن الصحابة كانوا يأنفون أن تزاول المرأة عملا خارجيا ، فذلك يؤثر على كرامة الرجل . لكنه مع ذلك ليس ممنوعا مادام هناك مبرر له ، بدليل أن النبى ﷺ أقر أسماء على عملها ولم ينكر عليها .

والأمثلة لجواز خروجها للعمل الشريف الواجب أو المندوب أو المباح كثيرة ، ومع ذلك لا ننسى قول الرسول ﷺ لأسماء بنت يزيد بن السكن حين عرضت عليه مطالب بنات جنسها فى مشاركة الرجال أعمالهم خارج المنزل : « أعلمى من خلفك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها ، وطلبها مرضاته ، واتباعها موافقته ، تعدل ذلك » (الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٩)

هذا ومحل جواز الخروج للمرأة من بيتها للعمل :

١ - أن يأذن لها زوجها أو ولى أمرها، وقد سبق حديث استئذان النساء للذهاب إلى المسجد . وقال ﷺ فى حق الزوج على زوجته « ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه .

فإن فعلت لعنتها ملائكة السماء وملائكة الأرض وملائكة العذاب حتى ترجع» (رواه الطبراني).

٢ - أن تكون محتشمة في ملابسها التي لاتصف ولاتشف ، ولاتستلفت الأنظار بزينة أو حركة أو كلام أو غير ذلك ، حرصا عليها ، ومنعاً للفتنة .

٣ - عدم الخلوة في عملها بمن يحرم عليها أن تختلى به ، ووجود عدد كبير معها في مكان واحد يمنع الخلوة .

٤ - عدم مزاحمة الرجال في المواصلات والأسواق والاجتماعات الأخرى ، صيانة لها ولغيرها من سوء .

■ - الأمن عليها من الفتنة والفساد « بمثل العمل في مكان موحش لا أمن فيه ، أوفى وقت يكثر فيه التعرض للحرمانات ، أو في وسط فاسد في أوضاعه ، أو العاملين فيه .

٦ - عدم ضياع واجب بخروجها للعمل ، سواء أكان الواجب لربها أم لزوجها وأولادها . فالتفريط في الواجب حرام ، وكل ما يؤدي إلى الحرام حرام « وبهذا نود أن توازن المرأة العاملة بين ما تكسبه وما تخسره ، وتتجنب ما ليس فيه كسب أو ما كانت خسارته أكبر ، ولكل واحدة منهن ظروفها الخاصة ، التي تختلف بها عن الأخرى (١).

وهكذا نرى أن الإسلام أوجب على المرأة أن تعمل في كل مجال يحفظ كرامتها . ويصونها عن التبذل ، وينأى بها عن كل ما يتنافى مع الخلق الكريم . فاشتراط أن تؤدي عملها في وقار وحشمة ، وفي صورة بعيدة عن مظان الفتنة ، وألا يكون من شأن هذا العمل أن يؤدي إلى ضرر اجتماعي أو خلقي ، أو يعوقها أداء واجباتها الأخرى نحو زوجها وأولادها وبيتها أو يكلفها ما لا طاقة لها به . وألا تخرج في زيها وزينتها .

روى البخاري في باب (غزوة النساء وقتالهن) ، عن الربيع بنت معوذ قالت : كنا نغزو مع رسول الله ﷺ . ونسقى القوم ونخدمهم « ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة

ويقول المرحوم عباس محمود العقاد في كتاب (المرأة في القرآن) : لم يكن الحجاب كما ورد في جميع الآيات مانعا في حياة النبي ﷺ أن تخرج المرأة مع الرجال إلى ميادين القتال ، ولا أن تشهد الصلاة العامة في المساجد « ولا أن تزاول التجارة ومرافق العيش المحللة للرجال والنساء على السواء .

وكان من ضرورة هذا التكليف ومقتضى منح هذه الحقوق . أن تتعلم المرأة ما تصح

به هذه التكاليف « وما تمارس به هذه الحقوق ، وأن تعمل فى تصريف شؤونها بنفسها إن شاءت . وفى التاريخ الإسلامى دروس عملية لهذه المبادئ ، فقد تعلمت المرأة . وشاركت الرجال فى الخدمات العامة . وفى ميدان التعليم برز أمهات المؤمنين ، معلمين ومتعلمين ، فقد حملن عبئاً كبيراً فى تعليم الإسلام « ونشر الدعوة ، وكانت السيدة عائشة فى مقدمة أمهات المؤمنين .

فقد روى البخارى لها أربعة وخمسين حديثاً تتناول كثيراً من أحكام الإسلام . تعلمت المرأة المسلمة وعملت ، ولا بد أن تتعلم وتعمل . وقد تهيأت للمرأة الآن فرص العلم والعمل الشريف ، وكثرت الصناعات التى تلائمها فى ميدان الطب والصيدلة والتمريض والكمياء والنسيج والحياكة والتطريز وغيرها من الأعمال التى لا ترهقها ، توفر لها حياة كريمة تواجه بها مصاعب العيش وكوارث الزمان . فى عصر جفت فيه عين البر فى نفوس الناس . فلا إحسان إلا بمقابل ، ولا بذل إلا بعوض . وشرف المرأة وعفافها أعلى ما فى حياتها . وأشد ماتكون ضناً به . وعمل المرأة سلاحها الذى تصون به شرفها . وتسمو به عن مواطن المهانة والابتذال . والشرعية الإسلامية لا تحرم على المرأة العمل مادامت تقوم به فى نطاق الجد والحشمة . وتتحاشى مواطن الفتنة والشبهة ، وما دام لا يؤدى إلى ضرر خلقى أو اجتماعى ، ولا يعوقها عن أداء واجباتها نحو زوجها وأولادها « ولا يكلفها مالا طاقة لها به .

ولقد اقتضت ظروف الحياة القاسية أن تعمل المرأة بالتعاون مع الرجل فى مواجهة ضرورات العيش ، ومتطلبات الأسرة ، ونفقات الأبناء ، وتحاول دول العالم أن تنسق بين أعباء المرأة فى بيتها ورعاية أطفالها وبين أعبائها فى العمل . حتى لا تطغى إحدى المسؤوليتين على الأخرى « مسؤوليتها فى المنزل ، ومسؤوليتها فى العمل .

ولكل أسرة طاقتها المالية ، فمن أغنت طاقتها المالية عن عمل المرأة ، ووفرت نشسائها لرعاية المنزل وتربية الأولاد ، كان ذلك خيراً للمرأة والأسرة ، حيث تتفرغ المرأة لواجبات الأسرة تفرغاً كاملاً ، وحيث تتخلى عن مكانها فى العمل لرجل يستطيع به إن يؤسس أسرة ويحصن امرأة^(١) .

(١) من قضايا العمل والمال فى الإسلام فضيلة الشيخ أبو الوفا مصطفى المراغى ص ٣٢

الباب الثانى النبوة والعمل

المبحث الأول : نبى الإسلام عامل
المبحث الثانى : الأنبياء والرسل والعمل

نبي الإسلام عامل

سبقت الإشارة إلى أن رسول الإسلام ﷺ كان يرعى الغنم ، ويتاجر فى مال خديجة لقاء أجر معلوم وهو فى مكة . وبعد أن هاجر إلى المدينة ظل عاملا ، بل وسع فى مجال عمله ، رغم أعباء الرسالة وقيادة الأمة . يقول ابن القيم : وسابق ﷺ بنفسه على الأقدام وصارع وخصف نعله بيده ورقع ثوبه بيده ، ورقع دلوه ، وحلب شاته وخدم أهله ونفسه (١) .

وشارك المهاجرين والأنصار فى بناء المسجد . يقول ابن هشام : ونزل رسول الله ﷺ على بنى أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه ، فعمل فيه رسول الله ﷺ ليرغب المسلمين فى العمل فيه ، فعمل فيه المهاجرون والأنصار « ودأبوا فيه » فقال قائل من المسلمين :
لئن قعدنا والنبي يعمل لذاك منا العمل المضلل
فارتجز المسلمون وهم يبنونه ويقولون :

لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة (٢)
وفى حفر الخندق يقول: فلما سمع بهم رسول الله ﷺ « وما أجمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة ، فعمل فيه رسول الله ﷺ : ترغيبا للمسلمين فى الأجر ، وعمل معه المسلمون فيه « فدأب فيه ودأبوا وأبطأ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين فى عملهم ذلك رجال من المنافقين وجعلوا يورون بالضعيف من العمل .

ثم يروى عن سلمان أنه قال : ضربت فى ناحية من الخندق . فغلظت على صخرة ورسول الله ﷺ قريب منى . فلما رآنى أضرب ، ورأى شدة المكان على . نزل فأخذ المعول من يدي ، فضرب به ضربة ، لمعت تحت المعول برق . قال : ثم ضرب به ضربة

(١) زاد المعاد لابن القيم ج ١ ص ٤١

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١١٤ .

أخرى فلمعت تحته برقة أخرى قال ثم ضرب به الثالثة فلمعت تحته برقة أخرى^(١) .
وروى البخارى عن البراء قال : رأيت رسول الله ﷺ يوم الأحزاب ينقل التراب .
وقد وارى التراب بياض إطنه وهو يقول : لولا أنت ما اهتدينا ، ولا تصدقنا ،
ولا صلينا فأنزل السكينة علينا ، وثبت الأقدام إن لاقينا إن الألى قد
بغوا علينا ، إذا أرادوا فتنة أبينا^(٢) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ جاء إلى الساقية فاستقى
فقال العباس : يا فضل اذهب إلى أمك ، فأت رسول الله ﷺ بشارب من عندها . فقال :
اسقنى قال : يارسول الله إنهم يجعلون أيديهم فيه ، قال اسقنى « فشرب منه . ثم أتى
زمزم وهم يسقون ويعملون فيها فقال : « اعملوا فإنكم على عمل صالح . ثم
قال : لولا أن تغلبوا لنزلت حتى أضع الحبل على هذه . يعنى عاتقه .
وأشار إلى عاتقه »^(٣) .

وقد روى الإمام أحمد أنه ﷺ « أكان يغرس النخل بيديه الكريمتين »^(٤)
كما كان يذهب إلى السوق فيشتري حاجاته بنفسه « ويحملها إلى بيته فإذا أراد
أحد الصحابة أن يحملها عنه قال له : « صاحب الشيء أولى بحمله » .
إلى غير ذلك مما جادت به السنة وسجله التاريخ

(١) المرجع السابق ج ٣ ص ١٧٠ ، ١٧٣

(٢) صحيح البخارى ج ٤ ص ٣١ .

(٣) المرجع السابق ج ٢ ص ١٩١ .

(٤) المسند ج ٥ ص ٤٤٠ .

الأنبياء والرسل والعمل

لم يكن رسولنا ﷺ بدعا في ذلك دون إخوانه من الأنبياء والمرسلين . بل كان الجميع يعمل . ويكد ويكدح في طلب الرزق الحلال « والقاسم المشترك بينهم . تلك المهنة التى تعلم القيادة والسياسة : (رعاية الغنم) روى البخارى وابن ماجه عن أبى هريرة . عن النبى ﷺ قال : « ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم » . فقال أصحابه : وأنت ؟ فقال : « نعم كنت أرحاها علي قراريط لأهل مكة » (١) .

ثم تميز كل نبى بصنعة يجيدها ، ومهنة يتكسب بها فآدم كان زارعا ، وفى الآثار أن آدم لما هبط إلى الأرض أتاه جبريل عليه السلام بالحنطة ، وأمره بأن يزرعها . فزرعها وسقاها وحصدها ودرسها وطحنها وخبزها ، فلما فرغ من هذه الأعمال ، حان وقت العصر فأتاه جبريل وقال : إن ربك يقرئك السلام ويقول : إن صمت بقية اليوم غفرت لك خطيئتك وشفعتك فى أولادك . فصام (٢) .

وكان نوح نجاراً يأكل من كسبه ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾ (٣٧) وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿ (٣) .

روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه . أن رسول الله ﷺ قال : كان زكريا نجاراً (٤) وإدريس كان خياطاً . كما روى الشيبانى وسليمان كان يصنع المكاتل من الخوص فيأكل من ذلك . وعمل داود فى الحدادة . يقول الحق سبحانه ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِيبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنْ اْعْمَلْ سَابِغَاتِ

(١) صحيح البخارى ج ٢ ص ١١٦ ، سنن ابن ماجة ح ٢ ص ٧٢٧

(٢) الاكتساب فى الرزق المستطاب لمحمد بن الحسن الشيبانى ص ٢٧ هدية مجلة الأزهر .

(٣) سورة هود آيتا ٣٧ ، ٣٨

(٤) شرح النووى ج ٥ ص ٢٣٠ ط الشعب

وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١﴾ .

ويقول : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيُخْصِيَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ (٢) .

يقول الإمام القرطبي في تفسيره : هذه الآية أصل في اتخاذ الصنائع والأسباب . وهو قول أهل العقول والألباب . لاقول الجهلة الأغبياء القائلين بأن ذلك إنما شرع للضعفاء . فالسبب سنة الله في خلقه . فمن طعن في ذلك فقد طعن في الكتاب والسنة . ونسبة من ذكرنا إلى الضعف وعدم المنة . وقد أخبر الله تعالى عن نبيه داود عليه السلام أنه كان يصنع الدروع . وكان أيضاً يصنع الخوص . وكان يأكل من عمل يده . وكان آدم حرثاً . ونوح نجاراً ، ولقمان خياطاً . وطالوت دباغاً . وقيل سقاء . فالصنعة يكف بها الإنسان نفسه عن الناس . ويدفع بها عن نفسه الضرر والبأس . وفي الحديث : إن الله يحب المؤمن المحترف . الضعيف المتعفف . ويبغض السائل الملحف (٣) .

وموسى عليه السلام وضع نفسه في خدمة شعيب عليه السلام ثمانى سنين أو عشرا على أن يكون أجر عمله هذه المدة مهرا لإحدى ابنتيه . ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٢٧) قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَيَّ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٤﴾ .

وعيسى ابن مريم عليه السلام كان يأكل من غزل أمه ، وربما كان يلتقط السنبلة فيأكل من ذلك وهو نوع اكتساب (٥) .

(١) آيتا ١٠ ، ١١ سورة سبأ .

(٢) آية ٨٠ سورة الأنبياء .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ص ٤٣٦١ طبع الشعب ..

(٤) آيتا ٢٧ ، ٢٨ سورة القصص

(٥) الأكتساب للتسياني . المرجع السابق ص ٢٨ .

الباب الثالث

شبهات حول بعض المهن

- المبحث الأول : شبهات حول الزراعة
- المبحث الثاني : شبهات حول البناء .
- المبحث الثالث : شبهات حول التصوير وصناعة التماثيل .
- المبحث الرابع : شبهات حول الموسيقى والغناء .
- المبحث الخامس : شبهات حول بعض وسائل الزينة للمرأة .

المبحث الأول

شبهات حول الزراعة

توصلت أبحاث علماء علم الحياة وعلم الطبيعة إلى أن أول عمل امتهنه الإنسان على وجه الأرض كان الزراعة . وأن النبات كان أسبق الكائنات وجوداً على الأرض قبل وجود الحيوان والإنسان .

فالإنسان لكي يعيش لابد أن يتغذى بعناصر تناسب تكوينه ، ولذلك اعتمد على النبات والحيوان ، والحيوان لكي يعيش لابد أن يتغذى كذلك إما على حيوان أصغر وإما على نبات ، ولأن الحيوانات الصغيرة عاشت وتكاثرت فلا بد أنها وجدت ماتأكله من النبات . ولا يحتاج النبات إلى الحيوان في غذائه . فغذاؤه من عناصر الطبيعة ، كالماء والهواء والتربة وحرارة الشمس .

وهكذا يقرر العلم - متفقاً مع البداهة العقلية - أن السابق في الوجود هو النبات . ثم تلاه الحيوانات ، وأنهما وجدا على الأرض قبل وجود الإنسان وقد سجل القرآن هذه الحقائق من قديم سابقا بها علم الإنسان ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ (١) .

ودحو الأرض : تمهيد وبسط قشرتها بحيث تصبح صالحة للسير عليها . وتكوين تربة تصلح للإنبات ، وإرسال الجبال وهو نتيجة لاستقرار سطح الأرض ، ووصول درجة حرارته إلى هذا الاعتدال الذي يسمح بالحياة . والله أخرج من الأرض ماءها سواء ما يتفجر من الينابيع ، أو ما ينزل من السماء . فهو أصلاً من مائها الذي تبخر ثم نزل في صورة مطر . وأخرج من الأرض مرعاها ، وهو النبات الذي يأكله الناس والأنعام وتعيش عليه الأحياء مباشرة وبالواسطة (٢) .

(١) آيات ٣٠ ، ٣٣ سورة النازعات

(٢) في ظلال القرآن سيد قطب ج ٦ ص ٣٨١٦ .

بالإضافة إلى ذلك ، يشرف ربنا تعالى مهنة الزراعة . وينسب فعلها إلى ذاته العلية
 في آية بعد آية من كتابه الكريم ، ليزداد التشريف . ويعظم التكريم . فيقول : ﴿ أَوَلَمْ
 يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا
 يُنْصَرُونَ ﴾ (١) .

ويقول : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَنَّكُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ
 الْمُنْشِئُونَ ﴾ (٢) .

ويقول ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ (٣) .
 مع ذلك تجد بعض الناس يثير الشبهة حول مهنة الزراعة وموقف الإسلام منها .
 معتمدين في ذلك على ظاهر بعض الأحاديث النبوية ، والأقوال المأثورة عن السلف
 التي تزدرى الأعمال الزراعية . وتحذر المسلمين من امتلاك آلات الزراعة . لأنه دليل
 الفقر والمذلة .

من ذلك ما رواه البخاري في (باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بآلة الزرع . أو
 مجاوزة الحد الذي أمر به) . عن أبي أمامة الباهلي قال ورأى سكة ، وشيئا من آلة الحرث
 فقال : سمعت النبي ﷺ يقول : لا يدخل هذا بيت قوم إلا أدخله الذل (٤) .
 وقد ذهبوا إلى أن الإمام مالكاً يكره الزراعة في أرض العرب . معتمداً على هذا
 الحديث الشريف .

أما أقوال السلف فقد أوردها ابن حزم ، وذكر رواتها . ثم عاد عليها بالتفنيد
 والإبطال .

قال : واحتجوا أيضاً بما روينا من طريق أسد بن موسى ، عن محمد بن راشد ، عن
 مكحول أن المسلمين زرعوا بالشام . فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فأمر بإحراقه وقد ابيض
 فأحرق ، وإن معاوية تولى حرقه .

(١) آية ٢٧ سورة السجدة .

(٢) آيتا ٧١ ، ٧٢ سورة الواقعة

(٣) آيتا ٦٣ ، ٦٤ سورة الواقعة

(٤) صحيح البخارى ح ٣ ص ١٣٥ طبع الشعب

ومن طريق أسد بن موسى عن شرحبيل بن عبد الرحمن المراري أن عمر بن الخطاب قال لقيس بن عبد يغوث المراري : لا آذن لك بالزرع ، إلا أن تقر بالذل ، وأمحو اسمك من العطاء . وإن عمر كتب إلى أهل الشام : من زرع واتبع أذناب البقر ورضى بذلك . جعلت عليه الجزية .

ثم عقب ابن حزم على هذا بقوله : وهذا مرسل (أى هى روايات مرسله غير متصله السند إلى عمر بن الخطاب) . وأسد ضعيف (أى راويها أسد لا يعتد بحديثه) ونعيذ بالله أمير المؤمنين من أن يحرق زروع المسلمين ويفسد أموالهم . ومن أن يضرب الجزية على المسلمين^(١) .

أما الحديث الشريف فينبغى فهمه على أنه إنذار بالذل للقاعدين عن الانتفاع بآلات الحرث والزراعة . أو لعله تحذير من الارتباط بالأرض . الذى يميز الزراع عن بقية العمال . والذى قد يحول بين هؤلاء الزراع . والجهاد فى سبيل الله ، وهذا ما لمح به ابن حزم حين قال : فصح أن الزرع المذموم ، الذى يدخل الله تعالى على أهله هو ما تشوغل به عن الجهاد^(٢) .

(١) المحلى لابن حزم ج ٨ ص ٢١١ .

(٢) المرجع السابق ص ٢١٠ .

المبحث الثانى

شبهات حول البناء

كما أخذ الآخذون بظاهر الأدلة في الحكم على كراهية الزراعة . صنعوا كذلك في مهنة البناء .

وتعللوا بما رواه أبو داود وابن ماجه عن أنس . أن رسول الله ﷺ خرج يوماً ونحن معه . فرأى قبة مشرفة فقال : لمن هذه؟ قال الصحابة هذه لفلان ، رجل من الأنصار . فسكت وحملها في نفسه . حتى إذا جاء صاحبها رسول الله ﷺ وسلم عليه في الناس فأعرض عنه . صنع ذلك مرارا حتى عرف الرجل الغضب فيه ، والإعراض عنه . فشكا ذلك إلى أصحابه فقال : والله إنى لأنكر رسول الله ﷺ . قالوا خرج فرأى قبتك ، فرجع الرجل إلى قبته فهدمها ، حتى سواها بالأرض . فخرج رسول الله ذات يوم فلم يرها . قال ما فعلت القبة ؟ قالوا : شكا إلينا صاحبها إعراضك عنه . فأخبرناه فهدمها فقال : أما إن كل بناء وبال على صاحبه إلا مالا إلا مالا ، أى إلا ما لا بد للإنسان منه مما يستره من الحر والبرد والسباع ونحو ذلك .

وعن أبى أمامة أن العباس بن عبد المطلب بنى غرفة . فقال له النبى ﷺ : اهدمها فقال : اهدمها أو أتصدق بثمانها ؟ فقال اهدمها رواه أبو داود فى المراسيل . والطبرانى فى الكبير واللفظ له وهو مرسل جيد الإسناد (١) .

هذه الأحاديث وغيرها . حملت بعض المتورعين على الحكم بكراهة الإسلام للبناء . وإذا كان للقضية بُعدان . الأول منهما أن تمنع البناء مطلقاً مخافة المخالفة لنصوص الشرع . ونعيش فى أكواخ وخيام . أو فى مغارات وكهوف . يسهل علينا التخلّى عنها وقتما يدعو داعى الجهاد . أو عندما نريد أن نغير أرضاً بأرض خلاصاً من الاستضعاف الذى لا يليق بالمسلم .

(١) التريغيب والترهيب ج ٣ ص ٥٥ ، ٥٦ ط دار الحديث .

مصادقا لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (١) .

فهناك من النصوص الشرعية ما يدعونا إلى البناء والإعمار ، وإذا كانت الأحاديث النبوية تخص المساجد في حضنها على البناء . فليس ذلك معناه أن بناء البيوت الخاصة مكروه بل العكس هو الصحيح . فأرض الله كلها مسجد ، ومع ذلك يرغب الإسلام في بناء المساجد . فتكون البيوت التي لا بديل لها ، ولا يستطيع الإنسان أن يعيش بدونها أولى بالدعوة إلى البناء .

وإنما ترك الشارع الدعوة إلى ذلك اعتمادا على ما فطر عليه الإنسان من حب التملك والاستحواذ ، والنزوع إلى التفرد والاستعلاء .

وإذا كنا نعلم أن الشريعة لا تحمل تناقضا بين نصوصها . فإن البعد الثاني من القضية التي نحن بصدد بحثها ، وهو نظرة الإسلام إلى البناء يحل لنا الإشكال .

ويكون الحكم بكرهية البناء إنما يتحقق عند إرادة الاستعلاء والتباهي والتطاول . كما جاء في الأحاديث النبوية التي تقرر هذا .

وعندئذ يرتفع التعارض الظاهري بين الأحاديث . وتظهر روح الإسلام التي تدعو إلى البناء والإعمار . في غير إسراف ولا مخيلة .

(١) آية ٩٧ من سورة النساء .

المبحث الثالث

شبهات حول مهنة التصوير وصناعة التماثيل

وردت أحاديث كثيرة تحذر من تصوير الكائنات الحية . سواء أكانت إنسانا أم حيوانا أم طيرا .

من ذلك ما رواه مسلم . أن رجلا جاء ابن عباس فقال : إني أصور هذه الصور فأفتنى فيها ، فقال له : ادن منى فدنا منه ، ثم قال : ادن منى فدنا منه حتى وضع يده على رأسه قال : أنبتك بما سمعت من رسول الله ﷺ . سمعت رسول الله ﷺ يقول : كل مصور فى النار يجعل له بكل صورة صورها نفساً فتعذبه فى جهنم وقال : إن كنت لابد فاعلا فاصنع الشجر وما لا نفس له (١) .

ومن ذلك ما رواه البخارى عن مسلم قال : كنا مع مسروق فى دار يسار بن غير فرأى فى صفته تماثيل فقال : سمعت عبد الله قال : سمعت النبى ﷺ يقول : إن أشد الناس عذابا عند الله المصورون (٢) .

وحديث البخارى هذا . صريح فى أن التحريم منصب على صناعة التماثيل ومع أن بعض الفقهاء ذهب إلى أن الحرمة كانت لأن الناس كانوا قريبى عهد بالوثنية ، وأن صناعة التماثيل اليوم لحرمة فيها بعد أن تبين الحق من الباطل . فإن المرء يأخذه العجب الشديد . حين يرى بعض العلماء . وهم على درجة عالية من فهم الشريعة يحرمون التصوير الضوئى .

من ذلك ما حكاه المرحوم الدكتور أحمد الشرباصى . فى حديثه عن صديقه أبى الحسن الندوى فى مقدمة كتابه (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) قال : هو يكره التصوير بجميع أنواعه . ويحرمه على نفسه فى تشديد ملحوظ ، ولقد زرت معه إحدى

(١) باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب أو صورة ج ٦ ص ١٥٥ .

(٢) فتح الباري ج ١٠ ص ٣١٤ .

دور الطبع والنشر الكبرى بالقاهرة ، ورغب مصور الدار أن يلتقط لنا صوراً تذكارية فرفض أبو الحسن . وأصر على الرغم من طول المحاولة والرجاء ، وذكر أن المسلمين في الهند متفقون على حرمة التصوير^(١) . وإذا علمنا أن علماء الهند . ومن بينهم أبو الحسن على الحسنى الندوى أمدوا المكتبة الإسلامية بأمهات الكتب فى مختلف فروع الشريعة . ولا يزال كثير من المصريين يتعلمون على هذه الكتب . وما حوت من علم ، إذا علمنا ذلك ازداد عجبنا ، وبلغ اندهاشنا متنها .

وقد أصدرت دار الفتوى المصرية فى شأن التصوير . فتوى تقدمت بنا خطوة إلى الأمام فى الفهم الواعى لروح الشريعة جاء فيها : إن القرآن الكريم نزل على رسول الله ﷺ فى أمة وثنية ، تصنع أصنامها وتضعها حول الكعبة المشرفة ، فكانوا يصورون ، ويعبدون ما يصورون ، ولقد ذم الرسول ﷺ الصور ومنعها فى كثير من أحاديثه لعله التشبيه بخلق الله ولعبادتها من دونه ، ومن قبله جاهد الأنبياء عليهم السلام عبادة الأوثان واتخاذها آلهة تعبد من دون الله ، أو تقربا إلى الله ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ (الزمر : ٣) . ولقد ردد القرآن الكريم قصة إبراهيم عليه السلام مع الوثنيين فى كثير من سورة ليلفت الناس إلى إخلاص العبادة والعبودية لله رب العالمين ، وساق القرآن كثيراً من المحاجة التى جرت ، والمحاورات بالمنطق والاستدلال العلمى ، فيما بين الأنبياء وأقوامهم فى شأن عبادة غير الله فى كثير من السور .

ثم تعرضت الفتوى بعد هذه المقدمة لحكم التصوير الضوئى والرسم فقالت : الذى تدل عليه الأحاديث النبوية الشريفة ، التى أوردها البخارى وغيره من أصحاب السنن وترددت فى كتب الفقهاء أن التصوير الضوئى للإنسان والحيوان المعروف الآن - والرسم كذلك - لا بأس به . متى كان لأغراض علمية مفيدة للناس ، إذا خلت الصور والرسوم من مظاهر التعظيم . ومظنة التكريم والعبادة ، وخلت كذلك من دوافع تحريك غريزة الجنس ، وإشاعة الفحشاء ، والتحريض على ارتكاب المحرمات .

ثم تحدثت الفتوى عن الآثار القديمة التى فيها صور وتماثيل ، وما ينبغى أن تتخذة حيالها ، فذكرت أنها تسجيل لتاريخ هؤلاء الذين صنعوها ، ودراسة تاريخهم تدفع إلى

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٣٢ طبع مكتبة السنة .

المزيد من التقدم العلمى والحضارى النافع . والقرآن قد لفت إلى دراسة آثار الأمم السابقة للعبرة ، والدراسة الجادة لهذا التاريخ لا تكتمل إلا بالاحتفاظ بآثارهم ، كما كان حجر رشيد مفتاحا لمعرفة الكثير عن تاريخ المصريين القدماء .

لهذا كان حتما الحفاظ على الآثار ودراستها ، والأخذ منها ما يوافق قواعد الإسلام قال تعالى : ﴿ أَقْلَمَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ

بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (الحج : ٤٦) وقال : ﴿ أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (الروم : ٩) .

وإذا كان التحفظ على الآثار هو الوسيلة الوحيدة لدراستها ، كانت إقامة المتاحف جائزة إن لم تكن واجبة ، لأنها ضرورية ، وللضرورة حكمها ، كما جاء فى نصوص الشريعة ، ويؤيد ذلك ما جاء فى تفسير القرطبي لقوله تعالى : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ ... ﴾ (سبأ : ١٣) .

فقد قال فى المسألة الثامنة : وقد استثنى من هذا لعب البنات وما ثبت عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ تزوجها وهى بنت سبع سنين ، وزفت إليه وهى بنت تسع ولعب معها ، ومات عنها وهى بنت ثمان عشرة سنة ، وعنها أيضا قالت : كنت أَلعب بالبنات عند النبى ﷺ إذا دخل ينقمعن منه - أى يتخفين حياءاً منه - فيسربهن إلى فيلعبن معى * ومعنى يسربهن يرسلهن - رواه البخارى ومسلم .

قال العلماء : وذلك للضرورة إلى ذلك ، وحاجة البنات حتى يتدربن على تربية أولادهن ، ثم إنه لابقاء لذلك (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج ١٤ ص ٢٧٤) وتخريجاً على ذلك كان الاحتفاظ بالآثار سواء كانت تمائيل أو رسوماً أو نقوشاً فى متحف للدراسات التاريخية ضرورة من الضرورات الدراسية والتعليمية ، لا يحرمها الإسلام لأنها لا تنافيه ، بل إنها تخدم غرضاً علمياً وعقدياً ، حث عليه القرآن فكان ذلك جائزاً ، إن لم يصل إلى مرتبة الواجب . بملاحظة أن الدراسات التاريخية مستمرة لا تتوقف (١) .

(١) من كتاب الفتاوى الإسلامية ج ١٠ - ص ٣٤٥٣ مختصراً .

وإذا كانت دار الإفتاء قد أجازت الإبقاء على التماثيل لدراسة التاريخ ، بل قالت إن الإبقاء عليها واجب ، أفلا يحق لنا أن نقول إن صنع التماثيل فى الوقت الحاضر جائز بناء على أن الفن صار علما يدرس ، وأصبحت له معاهد وكليات يُدرس فيها الفن ومن فروع هذا الفن نحت التماثيل المختلفة . للإنسان وغيره من الحيوانات والجمادات ، فدراسة التاريخ علم ، ودراسة الفن علم ولا فرق بين علم وعلم .

ومع تسليمنا وإيماننا بصحة الأحاديث الشريفة التى تحرم صنع أو حيازة التماثيل والصور إلا أننا نغفل عن البيئة التى قيلت فى مواجهتها هذه الأحاديث .

فقد كان العرب وغيرهم يعبدون هذه التماثيل ، وتوارثوا هذه العبادة جيلاً بعد جيل على مدى قرون متطاولة حتى استقرت فى ضمائرهم وعقولهم وخالطت قلوبهم ، وجرت فى دمائهم حتى صارت عنصراً أصيلاً من عناصر حياتهم فكان لابد من موقف حاسم أمام عقيدة لها هذه المكانة فى النفوس والعقول . يغلق كل المنافذ والأبواب التى قد يتسلل منها شئ يشوب عقيدة التوحيد ، فكانت هذه الأحاديث الشريفة الصحيحة التى تحذر وتتوعد الذين يتخذون الصور والتماثيل .

وبعد أن أتم الله علينا نعمته ، وأكمل لنا الدين ، وتبين الحق من الباطل ، وبعد هذا التقدم المذهل الذى تعيشه البشرية لا مجال للخوف على عقيدة التوحيد ، وإذا كان الشذوذ يدفع البعض - بين الحين والحين - إلى التعبد فى ساحة الأهرامات ، أو يدفعهم إلى عبادة الشيطان ، فهذه « بثور » فى جلد البشرية تأخذ وقتها ثم تزول ، فلم نر أفراد عقيدة سماوية أو غير سماوية تحولوا جميعاً عن عقيدتهم .

إن الصعوبة الشديدة تكمن دائماً فى البدايات ، ولابد من الحزم والحسم فى هذه البداية حتى تستقر الأوضاع .

يحكى لنا القرآن الكريم موقف موسى من قومه ، بشأن قضية التماثيل فيقول :
﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَمْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَيَبْطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٩) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾
(الأعراف : الآيات ١٣٨ - ١٤٠) .

ولما ذهب موسى عليه السلام لميقات ربه وكلمه ، عاد فوجد قومه قد عادوا إلى وثنيتههم ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ (الأعراف : ١٤٨) .

وبعد أن جاء موسى بالتوراة ، واستقر في قومه يعلمهم ويهديهم ، استقاموا على الطريق السوى ، وتابوا عن عبادة الأوثان ، وما أظنهم اليوم يحرمون صناعة التماثيل ، مع أنهم أولى خلق الله بذلك التحريم بسبب ما صنعه آبائهم ونبيهم بين أظهرهم . يصنعونها اليوم ، لكنهم لم يعبدوها ولن يعبدوها ، فقد عرف الكل عقيدته واستقرت أوضاع العقائد السماوية ، وغير السماوية ولم يعد هناك مجال للخوف الذي كان لازما للعقيدة الوليدة في بدايتها . بعد أن صارت قوية فنية ، واضحة المعالم والقسمات .

وإلا فبالله عليكم دلوني على مسلم عبد رمسيس أو توت عنخ آمون ، أو سجد لسعد زغلول أو مصطفى كامل أو محمد فريد ، قد يقول قائل : إن ما تدعوا إليه من عدم الأخذ بالأحاديث التي تحرم التماثيل رغم صحتها يفتح الباب أمام من يقول : لا حاجة بنا إلى السنة كلها ، فقد كانت تخاطب قوما جاهلين .

وهذا هراء لا يقول به عاقل . ولا يستحق ما يسيل من مداد القلم في الرد عليه .

ولنتأمل تسخير الله عز وجل الجن لنبيه سليمان ، لتصنع له ما يشاء من تماثيل .

إن تحريك الساكن المستقر أمر مزعج ومرفوض ، لأنه يحمل الناس علي التفكير الجاد ، وهو عمل مؤلم يعانى منه الناس كما تعاني المرأة حين يأتيها المخاض ، وتزداد المعاناة حين يتصل الأمر بالعقيدة ، عند ذلك تثور العواصف . وتهدر البراكين ، وتزلزل الأرض زلزالاً ، ولهذا كان موقف البشر واحداً أمام الدعوة الجديدة ، وإن اختلف أسلوب الدعوة وتغيرت أشخاص الدعاة .

فقد كان الرد واحد من أقوام تختلف طبائعهم ، وتباين بيئاتهم : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ ﴾ (الزخرف : ٢٣) ، ﴿ أَجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتَانَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (الأعراف : ٧٠) . ﴿ أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ (هود : ٦٢) .

ولم يتغير هذا الرد من فجر البشرية إلى أن ختم الله تعالى رسالته بالإسلام .

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَقْوَاهِمُمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ (إبراهيم : ٩) .

مع هذا الوضوح أتوقع أن تثور الزواجع من (القارة الهندية) ومن كل بقعة حارة ، خاصة وهناك شيخ جليل أحبه وأجله ، وأقدر جهاده في هداية الأمة يقول بغير ما أقول حين يؤكد : ولقد رأيت بعيني من يعبدون هذه الأصنام في جنوب آسيا ورأيت في مصر من يحيى بخشوع تمثالاً لعبد الناصر !! وذلك أثناء نقله من مكان إلى مكان ، وأقول لقد علمت يقينا أن « أوثانت » سكرتير الأمم المتحدة السابق كان ينزل من عليائه على الكرسي الرفيع ليقضى إجازته في التعبد لـ « بوذا » ، وما فكر واحد من البشر أن يصنع صنيعة .

أما التحية الخاشعة فنحن نصنعها للوالدين وللأستاذ « ولكل ما يرمز إليهم ، كما نصنعها للمعنى والرمز ، حين نحى علم بلادنا » وما قال أحد إننا نعبد هؤلاء أو هذا . ومن قبل ومن بعد فالله وحده يعلم مدى ما أتمناه لدينى من تمكين ورفعة وعزة ، وما أرجو « لأمتى من تقدم وسيادة ورخاء .

المبحث الرابع

شبهات حول الموسيقى والغناء

عرف الناس في بداية عهد الإسلام صوراً من الموسيقى والغناء . اتفق الفقهاء جميعاً على حلها وإباحتها . كتحريض الجنو على القتال . وكالأعراس والأعياد وكإثارة الشوق إلى الحج ، والغناء عند الفرحة بقدوم الغائب . وحذاء الإبل . كل ذلك أباح فيه الفقهاء الغناء والضرب بالدفوف . وما عدا ذلك اختلفوا حوله . فرأى يرى الحرمة . ويستند في ذلك إلى أحاديث وآثار . ورأى يرى الحل ويستدل على ذلك بأحاديث وآثار

وكان من أدلة القائلين بالحل : أنه ليس في كتاب الله . ولا سنة رسوله . ولا في معقولهم من القياس والاستدلال . ما يقتضى مجرد تحريم سماع الأصوات الموزونة مع آلة من الآلات . وقد تعقبوا جميع أدلة القائلين بالحرمة وقالوا : إنه لم يصح منها شيء . ونقول مع الإمام الأكبر الشيخ الفقيه محمو شلتوت : إن الله خلق الإنسان بغريزة يميل بها إلى المستلذات والطيبات . التي يجد لها أثراً طيباً في نفسه ، به يهدأ وبه يرتاح . وبه ينشط . وبه تسكن جوارحه . فتراه ينشرح صدره بالمناظر الجميلة . كالخضرة المنسقة . والماء الصافي الذي تلعب أمواجه . والوجه الحسن التي تنبسط أساريره ، ينشرح صدره بالروائح الزكية . التي تحدث خفة في الجسم والروح ، وينشرح صدره بلمس النعومة التي لاخشونة فيها . وينشرح صدره بلذة المعرفة في الكشف عن مجهول ومخبوء . وتراه بعد هذا مطبوعاً على غريزة الحب لمشتبهات الحياة وزينتها من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة . والخيل المسومة والأنعام والحرث (١) . ولعل الإساءة التي لحقت بالموسيقى والغناء . جاءت من أن المجالس التي كانت تجمع الخمر والقيان . وتجمع الفجور والانحلال من كل قيد . كانت تجمع كذلك الموسيقى والغناء .

(١) الفتاوى ص ٤١٠ طبع دار الشروق

هذا بالإضافة إلى بعض الآثار والأحاديث . التي ضعف العلماء أكثرها . وتأول العلماء بعضها على غير وجوها .

ويقرر عالم تقى من كبار علماء القرن الحادى عشر ما أشرنا إليه فيقول : إن الأحاديث التي استدل بها القائلون بالتحريم - على فرض صحتها - مقيدة بذكر الملاهي وبذكر الخمر والقينات والفسوق والفجور ولا يكاد حديث يخلو من ذلك ، وعليه كان الحكم عنده فى سماع الأصوات والآلات المطربة . أنه إذا اقترن بشيء من المحرمات . أو أتخذ وسيلة للمحرمات . أو أوقع فى المحرمات . بصورة مباشرة أو غير مباشرة . كان حراماً . وأنه إذا سلم من كل ذلك كان مباحاً فى حضوره وسماعه وتعلمه . وقد نقل عن النبى ﷺ وعن كثير من الصحابة والتابعين والأئمة والفقهاء أنهم كانوا يسمعون ويحضررون مجالس السماع البريئة من المجون والمحرم (١) .

ونجوس خلال العصور القديمة لنستطلع رأى فقيه كبير من العلماء والذين استحقوا عن جدارة ما لقبه به المسلمون . وهو حجة الإسلام الإمام الغزالى الفقيه الصوفى الزاهد . حيث يقول فى كتاب إحياء علوم الدين . تحت عنوان بيان الدليل على إباحة السماع : إن قول القائل : السماع حرام معناه أن الله تعالى يعاقب عليه وهذا أمر لا يعرف بمجرد العقل بل بالسمع . ومعرفة الشرعيات محصور فى النص أو القياس على النصوص . وأعنى بالنص ما أظهره ﷺ بقوله أو فعله . وبالقياس : المعنى المفهوم من ألفاظه وأفعاله . فإن لم يكن فيه نص . ولم يستقم فيه قياس على منصوص بطل القول بتحريمه . وبقي فعلاً لاجز فيه كسائر المباحات . ولا يدل على تحريم السماع نص ولا قياس . ويتضح ذلك فى جوابنا عن أدلة المائلين إلى التحريم . ومهما تم الجواب عن أدلتهم . كان ذلك مسلماً كافياً فى إثبات هذا الغرض . لكن نستفتح ونقول قد دل النص والقياس جميعاً على إباحته (٢) .

وبعد أن يستعرض دليل القياس . يأتى بالنصوص الدالة على الإباحة ، ثم يقسم الأصوات إلى أصوات تخرج من جماد كصوت المزمار والأوتار ، وأصوات تخرج من

(١) إيضاح الدلالات فى سماع الآلات . للشيخ عبد الغنى النابلسى ص ١٣٠ وما بعدها .

(٢) إحياء علوم الدين ص ١١٢٤ طبع دار الشعب

حنجرة حيوان . وذلك الحيوان إما إنسان . أو غيره كصوت العندليب والقمارى ، وذات السجع من الطيور . ثم يقول : فسمع هذه الأصوات يستحيل أن يحرم لكونها طيبة أو موزونة . فلا ذاهب إلى تحريم صوت العندليب وسائر الطيور . ولا فرق بين حنجرة وحنجرة . ولا بين جماد وحيوان . فينبغى أن يقاس على صوت العندليب . الأصوات الخارجة من سائر الأجسام باختيار آدمى . كالذى يخرج من حلقه أو من القضيب والطفل والدف وغيره . ولا يستثنى من هذه إلا الملائه والأوتار والمزامير التي ورد الشرع بالمنع منها . لا للذتها . إذ لو كان للذة . لقيس عليها كل ما يلتذ به (١) .

ثم يعقب بعد تفصيل طويل : فإذا تأثيرا لسمع فى القلب محسوس . ومن لم يحركه السماع فهو ناقص . مائل عن الاعتدال . بعيد عن الروحانية . زائد فى غلظ الطبع وكثافته . على الجمال والطيور . بل على جميع البهائم . فإن جميعها تتأثر بالنعيمات الموزونة (٢) .

وناقش نفس القضية فقيه كبير هو الإمام ابن حزم فقال : إن رسول الله ﷺ قال : (إنما الأعمال بالنيات . ولكل امرئ ما نوى) . فمن نوى استماع الغناء عونا على معصية الله تعالى فهو فاسق . وكذلك كل شيء غير الغناء . ومن نوى به ترويح نفسه . ليقوى بذلك على طاعة الله عز وجل . وينشط نفسه بذلك على البر . فهو مطيع محسن . وفعله هذا من الحق . ومن لم ينو طاعة ولا معصية . فهو لغو معفو عنه كخروج الإنسان إلى البستان متنزها . وقعوده على باب داره متفرجا (٣) .

وفى الجزء الثانى من كتاب : بيان للناس من الأزهر الشريف . تلخص الحكم فى فقرتين (أ) : الضرب بالدف وغيره من الآلات . مباح باتفاق فى أمور معينة .

(ب) : سماع الموسيقى وحضور مجالسها وتعلمها أيا كانت آلاتها . من المباحات ما لم تكن محركة للغرائز باعثة على الهوى والغواية والغزل والمجون . مقترنة بالخمر والرقص . والفسق والفجور . أو اتخذت وسيلة للمحرمات . أو أوقعت فى المنكرات .

(١) المرجع السابق ص ١١٢٦ .

(٢) نفس المرجع ص ١١٣٢ وأنصح بقراءة الموضوع فى مصدره فصاحبه ثقة غير متهم .

(٣) المحلى ج ٩ ص ٦٠ .

أو ألهمت عن الواجبات^(١)

وقد تعمدت أن أطيل في نقل النصوص حرفيا . لما أجد من إصرار كثير ممن أتوسم فيهم النباهة والتفقه ، على حرمة سماع الموسيقى والغناء . وبعد أن فرضت الموسيقى نفسها على شعوب الأرض . وصارت علما له قواعده وأصوله ومدارسه . واتخذ الأطباء من بعض فنونها وسيلة لعلاج بعض الأمراض . بل وأكد العلماء بعد التجربة تأثير الموسيقى في سرعة نمو النبات . وغزارة إدرار اللبن في الحيوانات إلى غير ذلك من المنافع التي نوه بها الباحثون .

ومن دواعي الفخر بالنسبة للمسلمين . أن يكون أحد أئمتهم النابيين وهو حجة المسلمين أبو حامد الغزالي رائد هذا المجال . حيث أكد تأثير الموسيقى في أرواح المتصوفة الصالحين حين يقول : سماع من أحب الله وعشقه . واشتاق إلى لقائه . فلا ينظر إلى شيء إلا رآه فيه سبحانه . ولا يقرع سمعه قارع إلا سمعه منه أو فيه فالسماع في حقه مهيج لشوقه . ومؤكد لعشقه وحبه . ومور زناد قلبه ومستخرج منه أحوالا من المكاشفات والملاطفات . لا يحيط الوصف بها . يعرفها من ذاقها . وينكرها من كل حسه عن ذوقها . وتسمى تلك الأحوال بلسان الصوفية وجدا . مأخوذ من الوجود والمصادفة . أى صادف من نفسه أحوالا لم يكن يصادفها قبل السماع . ثم تكون تلك الأحوال أسبابا لروادف وتوابع . تحرق القلب بنيرانها . وتنقيه من الكدورات . كما تنقى النار الجواهر المعروضة عليها من الخبث . ثم يتبع الصفاء الحاصل به مشاهدات ومكاشفات وهي مطالب المحبين لله تعالى ونهاية ثمرة القربات كلها . فالمغضى إليها من جملة القربات لامن جملة المعاصي والمباحات . وحصول هذه الأحوال للقلب بالسماع سببه سر الله تعالى في مناسبة النغمات الموزونة للأرواح . وتسخير الأرواح لها وتأثيرها بها شوقا وفرحا وحزنا . وانبساطا وانقباضا ومعرفة السبب في تأثر الأرواح بالأصوات . من دقائق علوم المكاشفات^(٢) .

والقول بأن تحريم الموسيقى سماعا وتعلما من باب سد الذرائع . أو أن درء المفسد مقدم على جلب المصالح ليس مقبولا لأن الموسيقى وإن كان يصاحبها في بعض

(١) يتغل البحث من ص ٣١٩ إلى ٣٢٧

(٢) إحياء علوم الدين ص ١١٣٩ المرحع السابق

الأحيان الخمر والرقص ، إلا أن هذا ليس الشأن فيها دائما . ومن ثم صار مثلها مثل الجلوس على الطريق . فقد جاء النهى عن الجلوس بالطريق . ثم كان السماح به عند التزام المسلم بحقه من غض البصر . وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . ومن هنا نعلم أن بعض المباحات يحرم إذا اقترنت به محرم . فتكون الحرمة طارئة وليست حكما أصليا .

ولا أجد ما أختتم به هذا الموضوع خيرا من هذا القول الطيب :
وإذن فسماع الآلات . ذات النغمات . أو الأصوات الجميلة . لا يمكن أن يحرم باعتباره صوت آلة . أو صوت إنسان . أو صوت حيوان . وإنما يحرم إذا استعين به على محرم . أو اتخذ وسيلة إلى المحرم . أو ألهى عن واجب .
وهكذا يجب أن يعلم الناس حكم الله فى مثل هذه الشؤون . ونرجو بعد ذلك ألا نسمع القول يلقى جزافا فى التحليل والتحريم . فإن تحريم ما لم يحرمه الله أو تحليل ما حرمه الله . كلاهما افتراء وقول على الله بغير علم^(١) ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(٢) .

(١) الفتاوى للإمام الأكبر محمود شلتوت ص ٤١٤ .

(٢) الأعراف : ٣٣ .

المبحث الخامس

شبهات حول بعض وسائل الزينة للمرأة

. وردت الأحاديث النبوية بتحريم بعض الأعمال بالنسبة للمرأة . من ذلك ما رواه أئمة الحديث السبعة^(١) . وغيرهم . أن رسول الله ﷺ قال لعن الله الواشمات المستوشمات والمتنمصات . والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله تعالى .

والوشم هو وخز الجسم بإبرة . حتى إذا سال الدم وضع عليه كحل أو مادة سوداء فيخضر الجلد . وقد يبالغ بعض الناس في ذلك . كما نرى من طوائف البدو فيشوهون وجوههم بهذا الوشم . الذى ننفر منه عادة . لعدم تعودنا على استعماله .

وأغلب ما يصنع ذلك للنساء . طلبا للتجمل والحسن . ولأنه يشوه الخلقة الكريمة فقد حرمه العلماء حين قالوا : وتعاطيه حرام . بدلالة اللعن كما فى الحديث . ويصير الموضوع الموشوم نجسا لأن الدم انحبس فيه . فتجب إزالته إن أمكنت ولو بالجرح . إلا إن خاف منه تلفا أو شيئا . أو فوات منفعة عضو فيجوز بقاؤه . وتكفى التوبة فى سقوط الإثم ، ويستوى فى ذلك الرجل والمرأة^(٢) .

والنামصة : هي التى تزيل شعر حاجبيها لترفعيهما . والحرمة فى هذا العمل تكون عندما تصنع المرأة ذلك خداعا للخاطب . أما إذا كان بإذن الزوج وعلمه . فعند ذلك ترتفع الحرمة . لانتفاء الغش والتدليس .

ولهذا قال العلماء : يجوز الحف والتحمير والنقش والتطريف^(٣) . إذا كان بإذن الزوج . لأنه من الزينة . وقد أخرج الطبرى من طريق أبى إسحاق عن امرأته أنها دخلت على عائشة . وكانت شابة يعجبها الجمال فقالت : المرأة تحف جبينها لزوجها ؟ قالت : أميطى عنك الأذى ما استطعت^(٤) .

(١) أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه

(٢) فتح البارى ج ١٠ ص ٣٠٦ .

(٣) الحف : إزالة الشعر الزائد : والتحمير : صبغ الشعر بالحمرة . والنقش : إزالة الشعر بالمنقش ، والتطريف : صبغ أطراف الشعر بالحناء ..

(٤) فتح البارى ج ١٠ ص ٣٠٦ ..

المتفلجة : هى التى تجعل بين أسنانها المتقدمة فرجة . تفعل ذلك بقصد التجميل فقط .

وبعض روايات الحديث تذكر كذلك الواصلة . روى البخارى وغيره عن أسماء بنت أبى بكر . أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت : إني أنكحت ابنتى ثم أصابها شكوى . فتمزق رأسها . وزوجها يستحثنى بها . أفأصل رأسها ؟ فسب رسول الله ﷺ الواصلة والمستوصلة .

وهذا ما يصنعه بعض النساء الآن بلبس ما يسمى (الباروكه) ويأخذ الحكم نفسه . فإن كان للزوج وبإذنه فلا حرمه . أما إن كان لخداع الخاطب فهذا حرام . ويدخل فى اللعن المذكور فى الحديث . التى تصنعه لنفسها . والتى تصنعه لغيرها .
وخلاصة القول : إن الزينة للمرأة مباحة . مادامت لزوجها وبإذنه . سواء صنعتها بنفسها . أو استعانت بغيرها . وبشرط ألا يكون فيها ما يشوه خلقه الله السوية .
فليس من المعقول أن تستحق المرأة اللعن بسبب شعرات تزيلها من وجهها . طلبا للزينة . وتخلصا من المضايقة النفسية . فى نفس الوقت الذى يبيح فيه الفقهاء إجراء الجراحات لإصلاح العيوب الخلقية . التى تعيق الإنسان عن أداء دوره فى الحياة . أو تضعه تحت ضغط نفسى يعكر صفو حياته .

الباب الرابع

علاقات العمل والعمال

المبحث الأول : عقد العمل

المبحث الثاني : حقوق العامل

المبحث الثالث : العُرف حكم عند تعارض المصالح

المبحث الرابع : نظام الطوائف

المبحث الأول

عقد العمل

أعطى الفقه الإسلامى عنايته الكبيرة بعقد العمل . كما تسميه التشريعات الحديثة . وأطلق عليه (عقد إجارة منافع الأعمال) أو (عقد إجارة منافع الأشخاص) واصطلاح الفقه على تسمية العامل (أجيراً) . وما يأخذه مقابل عمله (أجراً) . وأدخل ذلك فى باب أحكام المعاملات .

وقد سبق الفقه الإسلامى القوانين الوضعية . إلى وضع القواعد التى تنظم العلاقات بين العامل وصاحب العمل . فدرس الفقهاء علاقة العمال والصناع بغيرهم كما بينوا عقد الشركة . كشركة المضاربة معتمدين فى ذلك على المبادئ العامة . والقواعد الأساس . دون التعرض للتفاصيل إلا فيما ندر . تاركين التفاصيل لمقتضيات العصر . ولما يحقق المصلحة العامة ، كل ذلك فى إطار احترام إنسانية العامل . وضمان أجره ولقمة عيشه .

وحين نستعرض نصوص الشريعة التى تناول العمل والعمال نستطيع أن نبين عناصر هذا العقد . وما يشترط فى كل منها .
عناصر عقد العمل :

عناصر عقد العمل أربعة : العامل . وصاحب العمل . والأجر . والعمل .
فالعامل : كل من أدى عملاً شريفاً أو خدمة . مقابل أجر معين . يقول تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَمَا عَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١) .
ويقول : ﴿ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَعَمَلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴾ (٢) . ويقول ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ (٣) . فهذه الآيات وغيرها تنص على جواز استئجار العامل مقابل أجر .

(١) آية ٣٣ فصلت .

(٢) آية ٣٥ يس

(٣) آية ٢٦ القصص .

جواز استئجار العامل مقابل أجر

والعامل قد يكون عاملاً خاصاً . وقد يكون عاملاً مشتركاً . **فالعامل الخاص** هو من يوقف وقته وجهده على صاحب عمل واحد . كالحادم والعامل . وهما يستحقان الأجر على حسب أنفسهم على صاحب العمل سواء عملوا كثيراً أو قليلاً . لأن الأساس في هذه العلاقات يقوم على أجر لمدة يوم أو شهر أو سنة .

والعامل المشترك : هو من يقوم بعرض خدماته وأعماله لمن يطلبها . ويكون قادراً على دفع أجرته . فيستطيع أن يكون في خدمة أشخاص أو جهات متعددة في نفس الوقت .

ولما كان معروفاً أن الإنسان خلق من روح وجسد . وكان لكل منهما مطالبه . أكد القرآن الكريم اقتران الإيمان بالعمل الصالح في كثير من آياته . فالإيمان لازم لمطالب الروح . والعمل لازم لإشباع حاجات الجسد . وبذلك يحفظ الإنسان توازنه . ويعتدل في تصرفاته ولا ينحرف ، ويتفانى في عمله . فيتقنه دون إسراف أو انحراف . فينفع نفسه وينفع مجتمعه . فتستقر أوضاع الناس . ويسود الأمن والسلام . ويتقدم المجتمع . مادامت الضمانات حية . ومراقبة الله عز وجل شعار الجميع . سواء العامل وصاحب العمل فتحل البركة ويعم الرخاء ، ولكي يكون العامل إنساناً فاعلاً له التأثير الأقوى بين عناصر الإنتاج كان لا بد له من هذه الشروط :

أولاً : العقل السليم :

لأن العقل السليم في الجسم السليم . يجعل صاحبه معتدلاً في فكره وسلوكه ، ويدفعه إلى النظر والبحث والدراسة . والاستقراء والاستنباط . والإدراك الصحيح ، ويمكنه من حسن الاختيار . وحرية الإرادة وقوة الأداء . وتقدير المنفعة وتحقيق المصلحة ، ودفع الضرر .

ثانياً : الإيمان الصادق :

لأن الله تعالى أمر بالإيمان في آيات كثيرة من كتابه نذكر منها قوله تعالى : ﴿ قَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (١) ولإن الله تعالى

(١) آية ٨ : التغابن .

نهى عن الكفر في آيات كثيرة بالقرآن الكريم . نذكر منها قوله تعالى : ﴿ ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾ (١) . ﴿ اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ (٢) .

ثالثاً : العمل الصالح :

لأن الله تعالى قرن العمل الصالح بالإيمان الصادق في أكثر من ثمانين آية بالقرآن الكريم . ليجمع المؤمن بينهما بحيث يكون الإيمان هو الدافع الأول على العمل ليكون هذا العمل منتجاً لحاجات الإنسان المادية والروحية في آن واحد . فتكتمل بذلك سعادته إذ لو بقيت حاجة سواء كانت مادية أم روحية . دون أن تشبع ل بقيت حالة التوتر والألم . وهذه الحالة هي ما يعاني منها الإنسان الآن . بسبب قصر اهتمامه على الإنتاج المادى وحده . وإهمال الإنتاج الروحى . وجدير بالذكر أن الإسلام لا يهدر المصلحة الشخصية كدافع آخر على العمل . وإنما يخضعها فقط لتعاليم الإسلام . ليحد من سطوتها . ويمنع صاحبها من الاعتداء على مصالح الآخرين . ويوفق بينهما وبين المصلحة العامة . ويقدم العامة على الخاصة حرصاً على وحدة المجتمع وقوته . وجدير بالذكر أيضاً أن الإسلام يأمر بأن تعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، وأن تعمل لآخرتك كأنك تموت غدا . للجمع بين إنتاج الثروات المادية . التى تنفع الجسد . والثروات الروحية . التى تنفع الروح وبهذا الإنتاج المزدوج . ينفع الإنسان نفسه وغيره فى آن واحد . ومن أهم الحوافز على هذا الإنتاج المزدوج . أن الإسلام جعل للمنتج المؤمن أجرين :

(١) آية ٦ . النساء .

(٢) آية ٥ : المائدة .

الأول : عاجل وهو الأجر الدنيوى .

والثانى : آجل وهو أجر الآخرة

يقول تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُؤَدِّ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُؤَدِّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ (١) .
رابعاً : العلم النافع :

لابد لى تعمل أن تعلم أولاً كيف تعمل بإخلاص وإتقان وإبداع . فالعلم ضرورة لإصلاح حال الإنسان ورفعته . ولزيادة الإنتاج وجودته . ولتحقيق الثروة والقوة والقيادة . يقول تعالى : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ (٢) .
خامساً : الأموال الحلال :

لابد للعمل والإنتاج من إنشاء مشروعات التنمية الشاملة . ولا بد لهذه المشروعات لى تقوم وتنمو وتتقدم من التمويل الذى يجب أن يوفره لها أصحاب الأموال الحلال . يتضح مما تقدم أن الإنسان لا يكون اقتصادياً فى الإسلام إلا بعقله السليم ، وإيمانه الصادق . وعلمه النافع . وعمله الصالح وأمواله الحلال . وبذلك كله يكون بحق أهم عوامل الإنتاج (٣) .

(١) آية ١٤٥ : آل عمران .

(٢) آية ١١ للمجادلة .

(٣) عوامل الانتاج فى الاقتصاد الإسلامى لحمزة الجمعى الدموهى ، ص ١١٨ وما بعدها .

المبحث الثانى

حقوق العامل

وضع الإسلام القواعد التى تصون حقوق العمال ، وتضمن لهم حياة كريمة وأوضاعا مستقرّة آمنة . لهم ولأسرهم . فقد كان من المبادئ التى أرسى قواعدها الإسلام . وكانت ثورة اجتماعية على الأوضاع السائدة من قبل . أن رفع من شأن العمل والعمال . وضمن لهم حياة آمنة فى الصحة والمرض . وعند العجز . الأمر الذى لم يسبقه تشريع سابق . ولا ساواه تشريع لاحق .

فالإسلام ينظر إلى العامل نظرة إنسانية ملؤها الرعاية والتقدير . والحرص على كرامة العامل . فالعمال لا يختلفون عن غيرهم من طوائف المجتمع . فى التمتع بالحقوق الطبيعية التى ضمنها لهم الإسلام . بعد أن كان العمل فى الشرائع السابقة يعنى الرق والعبودية . والمذلة والهوان .

كما دعا الإسلام أصحاب الأعمال إلى الشفقة بالعامل . وعدم إرهاقه بعمل لا يطيقه . إلى غير ذلك من التوجيهات التى تدعو إلى المساواة بين العامل وصاحب العمل فى الكرامة الإنسانية . والتى تؤكد أن العامل لا يقل عن صاحب العمل فى المكانة الاجتماعية . وقد بين الفقهاء حقوق العامل . وحصروها فى العناصر الآتية :

١ - الأجر :

والأجر أهم شىء فى حياة العامل . فبه يحقق مطالب حياته ، سواء مطالبه الضرورية أو الكمالية .

ولذلك اهتم الإسلام اهتماما شديدا بتقدير أجر العامل على العمل ، وقد ورد الأجر فى القرآن الكريم فى مائة وخمسين موضعا . ومن أمثلة ذلك قوله تعالى عن قصة شعيب وموسى ﴿ قَالَتْ إِنَّ أَبَىٰ يَدْعُوكَ لِجُزْءِكَ أَجْرٍ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۖ ﴾ (١) . وقوله سبحانه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۖ ﴾ (٢) .

(١) من الآية ٣٦ سورة القصص .

(٢) آية ٨ سورة فصلت .

وإذا كان العامل يعيش على أجره ، وليس له مورد سواه فى غالب الأحيان . فإن الإسلام يدعو إلى أن يكون الأجر مجزياً . بحيث يحقق للعامل مطالبه المعقولة . روى شداد أن رسول الله ﷺ قال : **من كان لنا عاملاً وليس له زوجة . فليكتسب زوجة . فإن لم يكن له مسكن فليتخذ مسكناً** (١) .

وفى شأن تحديد الأجور . يفرض الإسلام قواعد الراسخة التى تحرم الغبن حيثما كان . وتقرر فى كل باب أن « لا ضرر ولا ضرار » وتقرر أن المال لا ينبغي أن يكون للأغنياء وحدهم ﴿ **كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم** ﴾ (٧ / الحشر) . وفى نور هذه القواعد العريقة والأصول الحية يمكن فى سهولة تقرير الأجور المناسبة للعمال (٢) . وقد بين الفقهاء طبيعة الأجر ونظامه على النحو التالى :

أولاً : الأجر حق العامل :

وهذا من مبادئ الإسلام العادلة . فكل حق يقابله واجب . يقول تعالى : ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ** ﴾ (٣) . ويقول الرسول ﷺ : لا يغرس مسلم غرساً ولا زرعاً فيأكل منه سبع أو طائر أو شيء إلا كان فيه أجر (٤) .

وأداء أجر العامل من الأمانات التى أمر الإسلام أن تصل إلى أصحابها . لأنه نتيجة عقد وجب الوفاء بشروطه .

وقد أوردت السنة النبوية الشريفة . صورة لطيب الأثر الذى يناله من يحافظ على حق العامل .

فقد روى البخارى قصة الثلاثة الذين أوا إلى الغار . فانحدرت صخرة . فسدت عليهم باب الغار . فقالوا : لا ينجيكم من هذا الضيق . إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم فدعا الأول بعمل صالح عمله . فانفرجت الصخرة قليلاً . لكنهم لم يستطيعوا الخروج وفعل الثانى كما فعل الأول . فزادت الصخرة انفراجاً . ولم يستطيعوا الخروج أيضاً .

(١) مسند الإمام أحمد ، سنن أبى داود ..

(٢) دراسة إسلامية فى العمل والعمال لبيب السعيد ص ٨٦ .

(٣) آية ١٥ سورة هود

(٤) البخارى ومسلم عن أنس .

وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجورهم . غير رجل واحد . ترك الذى له وذهب . فسمرت له أجره . حتى كثرت منه الأموال فجائنى بعد حين فقال : يا عبد الله . أد إلى أجرى . فقلت له . كل ماترى من البقر والغنم والإبل فهو من أجرى . فقال : يا عبد الله . لا تستهزى بى . قلت إني لا أستهزى بك . فأخذته كله فاستاقه أمامه فلم يترك منه شيئا . اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك . فافرج عنا ما نحن فيه . فانفرجت الصخرة وخرجوا يمشون^(١) .

أما إذا تنازل العامل عن أجره طواعية . كأن كان يعمل فى مسجد أو فى معهد دينى فإن أجره يعد صدقة . ولن يضيع أيضاً لأن الله تعالى يثيبه عليه فى الآخرة أضعافاً مضاعفة .

يقول ﷺ : يقول تعالى : ثلاث أنا خصمهم يوم القيامة . ومن كنت خصمه خصمته : رجل أعطى بى ثم غدر . ورجل باع حراً وأكل ثمنه . ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره^(٢) .

ثانياً : الأجر على قدر العمل :

تحدث النصوص الشرعية عن تفاوت الأجور . تبعاً لتفاوت المهارات والقدرات والإمكانات . فلا بد من مراعات فروق الذكاء والجهد المبذول « حتى يأخذ كل ذى حق حقه » .

يقول الله تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ﴾^(٣) .

ويقول : ﴿ وَاللّٰى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^(٤) .

(١) فتح البارى ج ٥ ص ٢٥٦ .

(٢) رواه ابن ماجه فى سننه

(٣) آية ١٩ سورة الأحقاف .

(٤) آية ٨٥ سورة الأعراف .

فإذا رضى العامل مضطراً بأجر أقل مما يستحق . وجب على صاحب العمل أن يدفع له ما يستحقه . ولا عبرة برضاه بالأجر القليل . وإذا كان المضطر لبيع سلعته بأقل من سعرها الحقيقي . لا يسقط حقه في طلب بقية حقه . فكذاك العامل فإنه يبيع جهده ووقته لصاحب العمل .

ثالثاً : الأجر مضمون من الدولة :

اعتبر الإسلام الدولة مسؤولة عن الفرد في جميع أحواله . في العمل تضمن له الأجر . وعند البطالة ملزمة بسد حاجاته الضرورية . يقول تعالى ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَأَلْذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ (١) .

ويقول ﷺ : والإمام راع ومسؤول عن رعيته . فكلكم راع ومسؤول عن رعيته (٢) وفي قصة الخضر في القرآن الكريم : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ (٣) .

وهذه الآية صريحة في حماية العامل من العدوان عليه في ماله . وأجره المستحق أصبح مالا فتجب حمايته .

فالدولة ملزمة بأن توفر للعامل عملاً مناسباً وأن تعينه في بعض حالات تعطله بما يكفه عن السؤال . حتى لا يذله الفقر . ويضعفه اليأس عن القيام بواجبه نحو مجتمعه وقد جاء في السنة . أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ يطلب منه أن ينظر في أمره لأنه خال من أسباب الكسب . ولا شيء عنده يساعده على القوت . فطلب رسول الله ﷺ قدوماً . وصنع بيده قطعة من الخشب وضعها في القدم . ثم أعطاها للرجل . وأمره أن يذهب إلى مكان معين . وكلفه أن يعمل هناك لكسب قوته . وطلب إليه أن يعود بعد

(١) آية ١٩٥ آل عمران

(٢) رواه البخاري

(٣) آية ٧٩ سورة الكهف

أيام ليخبره بحاله . فعاد الرجل يشكر لرسول الله ﷺ صنيعة . ويذكر له ما صار إليه من يسر الحال (١) .

نخلص من هذه الحادثة إلى أن الإسلام يرى أن للعاطلين حقوقاً على الدولة وتعترف الدولة بهذه الحقوق . فتوفر لهم العمل فوراً . وهذا هو السمو الذي تنفرد به الشريعة الإسلامية السمحاء . ولم تصل إليه شريعة أخرى من الشرائع ولا نظام من الأنظمة . ولا نظن أن العمال طمعوا في مثل هذا . ولكنه الإسلام دين الله ونعمته الجامعة لكل خير وسعادة (٢) .

رابعاً : يكون الأجر معلوماً للعامل :

فالإسلام يكره الجهالة في كل المعاملات ، ولذلك يطلب أن يكون تحديد الأجر من البداية معلوماً من الطرفين العامل ورب العمل . ليقوم العامل بما كلف به مطمئناً إلى أنه لم يظلم . أو أن يحيف عليه صاحب العمل بعد أن أخذ منه جهده ووقته . وأطمئنان العامل هذا يفسح المجال أمامه ليعمل بإخلاص وليجود ويبتكر وليكون حريصاً على كثرة الإنتاج . وبذلك يعم الخير فيشمل العامل وصاحب العمل والمجتمع . يقول ﷺ : من استأجر أجيراً . فليسلم له أجرته (٣) .

وعلى هذه القاعدة بين الفقهاء حكم من استأجر جزارا للذبح شاة . وله في نظير ذلك جلدها . فقالوا : إن هذه الإجازة لاتصح . لما في ذلك من احتمال الغبن إذ قد يكون الجلد رقيقاً . حيث لا يكون رائجا إلا الغليظ . أو غليظاً حيث لا يكون رائجا إلا الرقيق . أو قد تظهر به عيوب ليست واضحة قبل السلخ .

خامساً : أن يكون العمل على قدر طاقة العامل :

يجب على صاحب العمل ألا يرهق العامل إرهاقاً يضرب صحته . أو يجعله عاجزاً عن العمل . فقد قال شعيب لموسى عليهما السلام . حين أراد أن يعمل له : (وما أريد أن أشق عليك) ويقول ﷺ (لا تكلفوهم ملا يطيقون) (٤) .

(١) رواه البخارى فى صحيحه

(٢) العمل فى الإسلام محمد حسنى السيد ص ٣١

(٣ ، ٤) رواه البخارى ومسلم .

ويقول تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نُسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا ۝ (١) ۝

فإذا قررت الدولة أن العمل يجب أن يكون ثمانى ساعات فى اليوم . أو أكثر من ذلك أو أقل . وجب الالتزام بذلك من صاحب العمل . فإذا أراد تشغيل العامل فوق هذا الوقت . وجب عليه إعطاء العامل أجراً مقابل هذه الزيادة . فيكون داخل تحت قوله عليه الصلاة والسلام فى تتممة الحديث السابق : فإذا كلفتموهم فأعينوهم . ولا شك فى أن إعطاء الأجر على العمل الإضافى إعانة .

فإذا كلفه صاحب العمل بما يؤدى إلى إرهاقه ويؤثر على صحته . فللعامل الحق فى طلب فسخ العقد . أو الرجوع إلى المسؤولين ليرفعوا عنه هذا الحيف .

سادساً : عدم تعارض العمل مع الواجبات الدينية :

فالغاية من العمل المادى سعادة الإنسان فى الدنيا . والعمل الدينى غايته سعادته فى الدنيا والآخرة . يقول تعالى ﴿ مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ (٢) ۝

لذلك كان واجبا على صاحب العمل أن يمكن العامل من أداء فروض الله تعالى . حتى يصنع منه عاملا مخلصاً . يؤدى عمله فى أمانه وصدق . فالعامل المتدين هو أقرب الناس إلى الأخلاص فى العمل ، وليحذر صاحب العمل أن يكون ممن يصدون عن سبيل الله وعن الصلاة . يقول الله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ (١٢) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٣) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ۝ (٣) ۝

(١) آية ٢٨٦ سورة البقرة

(٢) آية ٩٧ سورة النحل .

(٣) آيات ٩ - ١٤ سورة العلق .

كما يجب على صاحب العمل أن يراقب العمال . ويحملهم بالحسنى على السلوك القويم . وعلى التمسك بأدب الإسلام . فذلك من شأنه أن يحملهم على حبه ، وعلى حب العمل والخير له وعلى حماية المال وتنميته بكل وسيلة .

سابعاً : للعامل حماية المجتمع :

تضمنت قواعد التكافل الإجتماعى فى الإسلام . حق الفرد فى تأمين معيشته وحفظ كرامته . عند المرض أو الشيخوخة أو العجز .

وإذا كان المال مال الله ﴿ وَلَيْسَتَغْفِي الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَأَوْتَوْهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِى آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (١) .

وكان الناس جميعاً عباد الله . كان من الضرورى أن المال وإن كان فى أيدى بعض الأفراد دون بعض . فإنه للجميع . ينتفع به المجتمع ويحافظ عليه .

وأول قاعدة فى التأمين الاجتماعى الإسلامى . أنه أوجب العمل على كل قادر ليكسب رزقه ويسد حاجاته . وحرّم القعود عن العمل على كل قادر عليه . حتى لا يعيش بلا كرامة . يستجدى الناس . ويمد يده إليهم باذلاً ماء وجهه فى الحصول على قوته . فانه سبحانه ماسلح الإنسان بالعقل . وأفاض عليه من المواهب والملكات . وسخر له ما فى السموات والأرض . إلا ليعمل لإسعاد نفسه وأهله ومجتمعه .

ثانى القواعد فى التضامن الاجتماعى :

وإذا كانت الأمة وحدة متماسكة . كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً كما جاء فى الحديث الشريف المشهور . فإن التضامن الاجتماعى يعنى مسؤولية الأفراد بعضهم عن بعض . وأن كل واحد حامل لتبعات أخيه . ومحمول بتبعاته على أخيه . فإذا ما أحسن . كان إحسانه لنفسه ولأخيه . وإذا ما أساء كانت إساءته على نفسه وعلى أخيه يقول تعالى ﴿ وَلِيَحْمِلْنَ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْقَالًا مَّعْ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا

يَقْتَرُونَ (١٣) ﴿١﴾ .

ولم يقف الإسلام عند هذا الحد . بل جمع بين أفراد المجتمع فى رباط متين من الإيمان والعقيدة . يجعل منهم قوة متماسكة سداها المحبة . ولحمتها الصالح العام . وهدفها السعادة فى الدنيا والآخرة .

عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ : مثل المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد . إذا أشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى (٢) .

وثالث القواعد:

على المجتمع كله أن يضمن للعامل الرعاية الصحية . سواء قامت بها الدولة أو تحملها بعض القادرين . خصما من مال الزكاة . أو تبرعا محضا . فالدولة قد لا تستطيع توفير الرعاية الصحية لسبب من الأسباب فتنتقل المسؤولية فى ذلك إلى كل قادر . وقد ذهب الإمام ابن حزم إلى أن أهل البلدة أو الناحية . إذا مرض فيهم المريض . ولم يجد من يعالجه فمات . اعتبر أهل هذه البلدة قتلته تؤخذ منهم ديتة بوصفهم هذا لأن الجماعة ملزمة بكفالة كل فرد فيها . وتوفير الكفالة المعيشية له عن طريق الإلزام . لا عن طريق الإحسان .

وقد سجل التاريخ الإسلامى . صورا إنسانية رحيمة . لبعض الحكام الذين راقبوا الله فى أعمالهم . فتحقق الرخاء على أيديهم . فأسعدوا به رعيتهم . ففى عصور سابقة . كان النظام فى مستشفى قلاوون بالقاهرة . يقضى بأن يأخذ كل مريض حين خروجه . وبعد شفائه . خمس قطع من الذهب . حتى لا يضطر إلى العمل قبل أن يسترد كامل عافيته (٣) .

ذلك أن الإسلام أوجب الإنفاق من بيت المال على الشيخ الفانى والمريض إذا لم يكن لهما مال خاص . ولم يكن هناك قريب يقوم على رعايتهم .

ثامنا : حق العامل فى الراحة :

نظر الإسلام إلى الإنسان نظرة محيطية . مبنية على معرفة النفس الإنسانية . وما

(١) آية ١٣ سورة العنكبوت .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) البيمارستانات فى الإسلام لأحمد عيسى ص ٩٦

يصلح لها من جد وهو وما يشبع جوانبها الروحية والعقلية والمادية . فأعطى كل جانب من هذه الجوانب حظه ، حتى يتحقق للنفس التكامل والتوازن . فتكون نفساً سوية منتجة .

والنفس الإنسانية إذا استمرت على حالة واحدة فترة طويلة . لا بد أن ينتابها الملل ولذلك أباح الإسلام الترويح عن النفس . والتسلى باللهو المباح . والقيام بالأنشطة الترويحية . التي تعود على الجسم والروح بالفائدة . وتجدد العزم على العمل والعبادة . ويعلمنا النبي ﷺ وسيلة من وسائل الترفيه والراحة . فقد جاءته عجوز أنصارية تقول له : ادع الله أن يدخلني الجنة فقال لها : يا أم فلان . إن الجنة لا يدخلها عجوز . فولت المرأة تبكى . ظانة أنها لن تدخل الجنة . فلما رأى ذلك منها تبسم وقال : أما قرأت قوله تعالى « إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا . عربا أترابا » (١) .

وفى مجال الرياضة يقول ﷺ : **الهوا والعبوا . فإنى أكره أن يرى فى دينكم غظة** (٢) .

يقول أحمد تيمور : فى كتاب « الموجز فى الطب » لابن البقيس مانصه : واللعب بالصولجان رياضة للبدن والنفس . لما يلزمه من الفرح بالغلبة والغضب بالانقهار . وفى « آثار الأول فى ترتيب الدول » لحسن بن عبدالله العباسى : واللعب بالكرة والجوكان . واستعمالهما بالغدوات من أتم الرياضات وأنفعها . لأن من الرياضات ما يختص بالكفوف والسواعد . مثل الشباك وتناول الطابة (٣) .

إن تحديد سياسة ترويحوية ثابتة وهادفة . مستمدة من تعاليم الإسلام وآدابه وأخلاقه يسير على هديها المجتمع الإسلامى المعاصر . ضرورة ملحة وهذا واجب العلماء والمفكرين والمصلحين الاجتماعيين وخبراء التربية وغيرهم ممن لهم باع فى هذا المجال الحيوى الهام . وقد حاولت بعض المؤسسات التعليمية . والمنظمات الإسلامية فعلاً أن تضع منهجية سديدة لسياسة الترويح المنشود . وأن تخط طريقاً واضحاً . تسير على هديه الوسائل والمؤسسات الترويحوية . فانعقدت بجامعة الملك عبد العزيز بجمدة بالمملكة

(١) رواه الترمذى .

(٢) رواه البيهقى وقال : هذا منقطع وإن صح فإنه يرجع إلى اللهو المباح .

(٣) لعب العرب لأحمد تيمور ص ٥٤ .

العربية السعودية فى جمادى الآخرة (١٤٠٢ هـ) حلقة بحث « الترويج فى المجتمع الإسلامى » وذلك بالتعاون بين الجامعة . والمنظمة العالمية للشباب الإسلامى . والرياسة العامة للشباب السعودى . وفى أبحاث أعضاء هذه الندوة جهود مشكورة . وبداية طيبة لتحديد سياسة ترويجية هادفة وبناءة تساهم فى تنمية الشخصية الإسلامية . وتستثمر أوقات فراغ أبنائنا فيما يعود عليهم وعلى مجتمعهم بكل نافع مفيد . وقد طالب أعضاء هذه الندوة - التى تعتبر الأولى من نوعها - باستمرار الحوار البناء بين العلماء والمفكرين والمسؤولين عن الوسائل الترويجية الحديثة - وفى مقدمتها وسائل الأعلام - والقائمين على شؤون الشباب فى العالم الإسلامى . من أجل دراسة موضوع الترويج . وسواء كان هذا الحوار على شكل ندوات ومؤتمرات . أو أبحاث ومقالات ومحاضرات . استكمالا للدراسة . ووفاء بجوانبها المتعددة بصورة أكثر ترويا وشمولا . وعمقا وتفصيلا . وقد انتهت الندوة إلى عدة توصيات منها :

الاهتمام بالأنشطة الترويجية . التى تسهم فى بناء شخصية الشباب المسلم .

- التأكيد فى الأنشطة الترويجية على الموضوعات التى لها صلة بتاريخ المسلمين وحضارتهم .

- تنقية الممارسات الترويجية القائمة مما علق بها من شوائب تتنافى مع قيمنا الإسلامية .

- الاهتمام بتقديم أنشطة ترويجية للأسرة . وخاصة الأطفال . مبنية على القواعد الشرعية .

- التأكيد على استمرار الدراسات العلمية لترشيد عمليات الترويج فى مجالاتها المختلفة .

- ضرورة توفير المرافق اللازمة التى تؤمن للأسرة المسلمة الترويج المناسب .

- العناية باختيار المشرفين على برامج الترويج فى ميادينها المتعددة بما يحقق فيهم القدوة الإسلامية الحسنة^(١) .

(١) من مقال للأستاذ بسبوى الحلوى . مجلة الوعى الإسلامى عدد ٢٤٦ جمادى الآخرة سنة ١٤٠٥ هـ

المبحث الثالث

العرف حكم عند تعارض المصالح

جرى الفقه الإسلامى على اعتبار العرف السائد فى المجتمع . وأخذ فى الحسبان عند تقرير قاعدة من القواعد التى لم يرد نص شرعى فيها . فقالوا : **المعروف عرفاً كالمشروط شرطاً** .

فالعرف السائد هو الذى يحدد مواعيد العمل . ومواصفات الإنتاج . وأى الطرفين يكون مسؤولاً عن أدوات العمل . العامل أم رب العمل . والقيام بتوابع العمل . أو عدم القيام . وتقرير مدى ضمان العامل لما يعمل . فكل هذه الأمور وغيرها . كان العرف هو الحكم فيها . قبل أن تصدر القوانين الخاصة بالعمال . والتى نصت على تحديد مسؤولية كل طرف وبينت الحقوق والواجبات . دون أن تجامل أحداً على حساب أحد ، وقبل وجود القوانين العمالية الحديثة . كانت عدالة الإسلام حكماً بين العمال . وأصحاب المصالح .

وإذا كان المال يعطى صاحبه قوة ونفوذاً ، فإن الحق فى جانب صاحبه أقوى من النفوذ والسلطة . ولذلك كان من حق العامل أن يتظلم وأن يرفع مظلمته إلى الحاكم . حتى يأخذ حقه كاملاً . فالعدالة فى الإسلام لا تعرف المحاباة فى الحكم . ولا تسلك طريقاً من طرق الظلم . يقول الحق تعالى ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾ (١) . وبين القرآن الكريم عاقبة الظلم ويحذر من تبعاتها فيقول ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِّنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ﴾ (٢) . ويقول ﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾ (٣) .

(١) من الآية ٣١ سورة غافر .

(٢) آية ١٣ سورة يونس .

(٣) آية ٥٢ سور النحل .

المبحث الرابع

نظام الطوائف

انتشر نظام الطوائف فى بعض بلاد الإسلام . فكان لكل طائفة من العمال رابطة تضم العرفاء والمعلمين . وعلى رأس كل طائفة شيخها . وكانت لهذه الطوائف تقاليد مرعية . تستند فى كثير من الأحيان على روح الإسلام . تدافع عن العمال . وتعمل على إصلاح أحوالهم .

وإذا كانت هذه الطوائف تقوم على الأخوة فى المهنة . وعلى التعاون على الخير . فالإسلام يدعو إلى ذلك فى كل حال . وبين جميع المسلمين يقول تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشُّهُرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْاَقْلَاتِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامَ يَتَفَتَحُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ (١) .

وكانت هذه الطوائف تقدم الخدمات الإنسانية التى تقوم بها النقابات فى وقتنا الحاضر . فكان لكل حرفة صندوق تتكون موارده من : بدل الإيجارات . وأرباح الأموال الموقوفة . والوصايا ورسوم الانتساب ، والدخوليات عند الاجتماعات فى المواسم والتبرعات المقدمة من أهل الخير من رجال الحرف وغيرهم . وتنفق هذه الأموال فى الخير العام للمجتمع ، والخير الخاص لأبناء الطائفة . وبخاصة العجزة منهم والمرضى (٢) .

(١) الآية ٢ سورة المائدة .

(٢) الأخية الفتيان الزكية لمحمد جودت نقلا من كتاب دراسات إسلامية فى العمل والعمال لبيب السعيد .

الباب الخامس

واجبات العمال

بعد أن بينا حقوق العامل فى الباب السابق . كان لزاما أن نشير إلى واجباته . فهذا منطق العدل . ومنهاج الحق . الذى رسمه الإسلام . فكل حق يقابله واجب ، وكل عمل لابد له من جزاء يناسبه ، إن كان خيرا فالجزاء خير . فالجزاء من جنس العمل .

١ - إتقان الصنعة :

وأول ما يجب على العامل . أن يرضى الله تعالى فى عمله . بإتقان ما يعمل فإتقان الصنعة أهم عنصر فى رواجها . وإذا ما راجت السلعة عاد خيرها على العامل ورب العمل . بل وعلى المجتمع بأسره . لأن المجتمع : عامل يجد عملا . ورب عمل يسوق سلعته فيكسب ويعطى العامل أجره ، ومستهلك لهذه السلعة الجيدة .

ولهذا كان العمل فى أى مجال يخدم المجتمع . هو فى نفس الوقت عبادة يثاب عليها العامل من الله . بالإضافة إلى الأجر الذى يتقاضاه ، يقول الحق تعالى ﴿ وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

والمفروض فى العامل المسلم . أن يكون ضميره هو الرقيب عليه . سواء عنده إن كان صاحب العمل حاضرا أم غائبا .

٢ - الحرص على الوقت :

على العامل أن يحترم وقت العمل . فيبادر إلى الحضور فى الموعد المناسب . وإذا مابدأ العمل أنفق وقته كله فى الإنتاج . فالوقت عنصر هام من عناصر الإنتاج . ولهذا كان الإسلام حريصا على استغلال المسلم لوقته فى عمل الصالحات .

يقول ﷺ : باكروا فى طلب الرزق والحوائج فإن الغدو بركة ونجاح (٢) .

والبكور فى كل عمل بحسب طبيعته . وإذا كان الناس قديما يسعون فى أرض الله مع شروق الشمس . ويروحون إلى بيوتهم عند غروبها . فإن عصر الصناعة الذى نعيشه غير من هذه العادة . وصار الزمن كله بليله ونهاره صالحا للعمل والإنتاج . وعلى العامل أن يسادر عمله فى ورديته . عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ

(١) آية ١٠٥ سورة التوبة

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط وابن عدى فى الكامل .

قال : عيناان لاتصيبهما النار : عين بكت في جوف الليل من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله^(١) .

وليست حراسة الأوطان وحدها هي التي تكون في سبيل الله . إنما الحارس في كل موقع عمل ، إذا ما تفانى في عمله ، كان ذلك أيضاً في سبيل الله . فسبيل الله واسع يشمل كل عمل صالح . يسد حاجة من حاجات الأمة .

٣ - تحمل المسؤولية عن العمل :

وإذا كان الإسلام يجعل كل عامل في موقعه راعياً . من الخليفة إلى الخادم . كان على العامل أن يتحمل مسؤوليته عن كل تقصير يحدث منه يقول الله تعالى ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾^(٢) .

ويقول ﷺ : كلكم راع ومسؤول عن رعيته فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته . والرجل راع في أهله . وهو مسؤول عن رعيته . والمرأة في بيت زوجها راعية . ومسؤولة عن رعيته . والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته . فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته^(٣) .

والتقصير أو الإهمال في العمل قد يكون عن قصد وعمد . وهذا لانتهاون معه . ولا بد أن يلقي جزاءه بقدر ما أحدث من ضرر ، أما إذا جاء هذا التقصير نتيجة ظروف خارجة عن إرادة العامل . فالعامل معذور . مادام لم يهمل في الأخذ بالأسباب . وقد فصل الفقهاء أحوال العمال في تحمل التبعة . وعدم تحملها وأفاضوا في ذلك . فلم يتركوا . احتمالاً إلا بينوه .

من ذلك ما جاء في الفتاوى التتارخانية من قوله : تلميذ القصار^(٤) . أو أجيده الخاص . إذا أدخل ناراً للسرّاج بأمر الأستاذ . فوقعت الشرارة على ثوب من ثياب

(١) رواه الترمذى .

(٢) من الآية ٩٣ سورة النحل .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

(٤) هو الذى يدق الثياب لتبييضها وتخويرها .

القصارة أو أصابها دهن السراج . لا يضمن الأجير ويكون الضمان على الأستاذ (أى صاحب العمل) . ولو انقلبت المدقة من يد أجير القصار أو تلميذه . ف وقعت على ثوب من ثياب القصارة . ضمن الأستاذ . ولو وقعت المدقة على موضعها . ثم وقعت بعد ذلك على شيء آخر . فالضمان على الأستاذ . لا على التلميذ (١).

فإذا حسنت النوايا . وكان العامل أميناً . واكتسب ثقة صاحب العمل . كان العفو أقرب من العقوبة . قال عبد الله بن عمر جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله كم يعفو عن الخادم فصمت عنه ﷺ ثم قال : اعف عنه فى كل يوم سبعين مرة (٢).

٤ - التحلى بالأمانة :

الأمانة مطلوبة من كل مسلم . وهى فى مجال العمل تستدعى أن يبذل العامل كل جهد يستطيعه . فلا يبخل على العمل بأفكار أو وسائل تؤدي إلى زيادة الإنتاج وجودته أو إلى راحة العمال وصيانة الآلات . فإن توصل إلى شيء من ذلك وضمن به . كان خاتناً لأمانة العمل . ف الله تعالى يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرُّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٣).

ومن الأمانة كذلك . ألا يأخذ العامل شيئاً يعلم أن صاحب العمل لا تطيب نفسه بأخذه . فهناك من الأعمال ما يسمح العرف فيها للعامل بأن يأخذ أو يأكل . ويكون رب المال راضياً . فإذا لم يرض فلا حق للعامل فى أخذ شيء .

ومن الأمانة المتعلقة بالعامل . حفظ أسرار العمل ، فلكل عمل طبيعة خاصة . وأصحاب الأعمال المتشابهة . يتفاوتون فى نوعية الإنتاج وقد يصل مصنع إلى وسيلة تحجب المستهلك فى إنتاجه . وفى تفضيله على مثيله . مما يكون سبباً فى رواج السلعة وانتشارها . وهذا لاشك فى صالح صاحب المصنع . يحرص على أن يتفرد به . ومن واجب العامل أن يعين صاحب العمل فى الحفاظ على هذا السر ، فقد يؤدى إفشاء هذا السر إلى كساد السلعة . وتوقف الإنتاج . وإفلاس صاحب العمل . وإغلاق المصنع .

(١) ج ٢ ص ٣٣٩

(٢) رواه أبو داود والترمذى .

(٣) آية ٢٧ الأنفال .

ولاشك فى شناعة هذه الجناية على رب المال والعمال . ولهذا قال رسول الله ﷺ :
« لا إيمان لمن لا أمانة له ولادين لمن لا عهد له » (١) .

٥ - بذل الخبرة للأجيال التالية :

يبدأ العامل صبياً . لا يعرف شيئاً عن أسرار المهنة التى يختارها له أبوه أو تختارها له الظروف . ويبدأ فى تعرف أسرارها يوماً بعد يوم . إما بتعليم أستاذه وإرشاده . وإما بالممارسة والمعايشة . وتتراكم الخبرات وتزيد حتى يصبح الصبى أستاذاً له تلامذته ومريدوه . وهكذا تتواصل الأجيال وترقى الصناعات . وتتقدم الأمم .

وقد خرجت الشعوب الحجرية من جحورها . وسكنت ناطحات السحاب بفضل هذا القانون . الذى لولاه لما تقدمت الإنسانية خطوة . ولما وصلت إلى ما وصلت إليه من تقدم . يذهل العقول . ويدير الرؤوس . ولعل ما قرأنا عنه أخيراً من تخليق نعجة بخلية وبويضة . ودون أب أو أم . فأنتج نعجة صوراً مطابقة من التى أخذت منها الخلية . يطلعنا على مدى تأثير انتقال الخبرات فى تقدم العلوم والفنون .

ولاشك أن هذا التقدم الهائل . سيفيد البشرية فى مجال الطب والعلاج إذا التزم العلماء بالقيم الخلقية والدينية .

وقد أرشدنا نبينا محمد ﷺ إلى فضيلة هذا العمل . الذى لا يكلف صانعه مالا . ومع ذلك فهو من أفضل الأعمال .

عن أبى ذر قال : يارسول الله أى الأعمال أفضل . قال : « إيمان بالله . والجهاد فى سبيله . قلت فأى الرقاب أفضل . قال : أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمناً . قلت فإن لم أفعل . قال : تعين صانعاً . أو تصنع لأخرق » (٢) . والأخرق . هو الجاهل بالشىء . فلا يحسن عمله .

(١) رواه أحمد وابن حبان عن أنس .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

الباب السادس

بين الإسلام وقوانين العمل

مع مرور الزمن . تتطور الصناعات . وتتقدم الأمم . ويجد الجديد الذى لم يكن للناس عهد به من قبل .

وفى فجر البشرية . عاش الناس على الرعى والزراعة . ثم تطورت حياتهم فاستعملوا الأدوات الحجرية فى تحقيق مطالبهم الخاصة . ثم اتسعت الحياة . وتعددت الصناعات . وتوزع العمل من زراعى إلى صناعى إلى تجارى . واحتاجت العلاقات الجديدة إلى قوانين تنظمها . وتبين حق العامل وواجبه وحق المالك وواجباته

وكان لكل طور من أطوار البشرية قانون يلائم ظروفها . ولكل مجتمع أعرافه وتقاليده . التى كانت تتغير تبعاً لتطور الأوضاع وتغيرها ، والتاريخ ينبئنا ببعض هذه القوانين التى كانت تخرج كثيراً نحو صالح المالك الإقطاعى أو الرأسمالى . فإذا ثار العمال والأجراء على الظلم والمهانة . أضافوا إلى رصيدهم حقاً لهم كان مسلوباً .

ولم تفكر الدولة فى وضع تشريعات للعمال . إلا بعد قيام الثورة الصناعية . فقد كان من أهم آثارها . حدوث خلافات كبيرة بين أصحاب الأعمال والعمال . بعد أن انفصل رأس المال عن العمل ، ولما كان هدف رأس المال الدائم أن يحقق أقصى ربح فقد اعتبر العامل سلعة من السلع . وليس بشراً آدمياً . له حقوقه ومطالبه وبالفعل أصحاب الأعمال فى استغلال العامل أطول فترة فى مقابل أجر هزيل . لايفى بمطالب الحياة فى أغلب الأحيان .

وتحت الإحساس بالظلم ، وحد العمال صفوفهم . وتجمعوا للمطالبة بحقوقهم فقامت الدولة بسن التشريعات التى تضمن بعض حقوق العمال . وتتحاشى كثيراً من مشاكلهم . خوفاً من انتشار السخط والثورة فى صفوفهم .

ونتيجة لجهاد العمال فى سبيل إثبات حقوقهم . رأى بعض المصلحين الاجتماعيين أن المشكلة لايمكن أن تعالج محلياً . بل يجب علاجها على أساس دولى .

ولذلك تركزت جهودهم فى وضع مستويات دنيا عالمية لظروف العمال ومعيشتهم تلتزم بها كل الدول .

وما أن انتهت الحرب العالمية الأولى . حتى ساد الاعتقاد فى أن السبب الحقيقى لهذه الحرب . هو الصراع الاقتصادى . والمنافسة التجارية . وما نتج عنهما من مظالم اجتماعية .

كما ظهر واضحاً لكل متأمل . أن السلام العالمى لا يمكن أن تستقر أركانه إلا إذا تحققت العدالة الاجتماعية . التى هى الأساس الأول للسلام العالمى وعلى ذلك قرر مؤتمر السلام الذى عقد فى باريس عام ١٩١٩ إنشاء لجنة فرعية للمؤتمر . سميت (لجنة التشريع العمالى) وعهد إليها بدراسة ظروف الاستخدام من الناحية الدولية . والنظر فى الطريقة التى يمكن بها تحقيق العمل الدولى المشترك . فى المسائل التى تؤثر فى ظروف الاستخدام واقتراح هيكلى جهاز دولى دائم . يواصل البحث والاهتمام .

والت اللجنة دراستها وبحوثها . ثم تقدمت إلى المؤتمر بتقرير هام ، جاء فيه :
إنه لما كان السلام العالمى الدائم . لا يمكن أن يتحقق إلا إذا أقيم على أساس من العدالة الاجتماعية . ولما كانت هناك ظروف عمل من شأنها تعريض أعداد كبيرة من الناس للمظالم والمشقة والحرمان . الأمر الذى ينبجم عنه الكثير من عدم الاستقرار . مما يهدد السلام والوئام فى العالم . فإن تنظيم وتحسين هذه الظروف . أصبح ضرورة ملحة .

وبفضل مؤتمر السلام . أنشئت « هيئة العمل الدولية » وألحقت بعصبة الأمم . ومقرها الرئيسى بجنيف فى سويسرا .

وتعد هذه الهيئة . من أقدم المؤسسات الدولية . بل هى الهيئة الدولية الوحيدة . التى أنشئت بعد الحرب العالمية الأولى . وظلت باقية بعد الحرب العالمية الثانية . وهى الآن إحدى هيئات الأمم المتحدة ويبلغ عدد أعضائها ١١٢ دولة . وقد انضمت إليها مصر فى عام ١٩٣٦ م وهى الهيئة الدولية الوحيدة . التى تتكون عضويتها من مندوبين حكوميين وممثلين . لأصحاب الأعمال .

وفى المؤتمر الذى عقدته الهيئة فى ١٠ مايو سنة ١٩٤٤ م بمدينة فلادلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية . صدر إعلان الهيئة الذى عرف باسم (إعلان فلادلفيا) والذى حدد أعمال الهيئة فى الأمور الآتية :

١ - تشغيل الأيدى العاملة ، بما فى ذلك التشغيل الكامل . وإعطاء العمال عملاً يناسب قدراتهم . وتحقيق رفاهية المجموع .

٢ - تحسين علاقات العمل الفردية بمشاركة العمال مشاركة عادلة عن طريق الأجور فى ثمرات التقدم .

٣ - رفع مستوى المعيشة . بتقرير مستوى مناسب للغذاء والسكن وأوقات الفراغ .
و ضمان تكافؤ الفرص فى الميدانين التعليمى والحرفى .

٤ - التوسع فى وسائل الضمان الاجتماعى . وحماية أرواح وصحة العمال فى جميع الأعمال .

وإذا كانت شؤون العمال والعمل ترد عليها تحولات وتجديدات . والاختراعات الصناعية الحديثة . تجعل ظروف العمل فى تطور مستمر . مما حدا بهيئة العمل الدولية . فى مؤتمرها السنوى إلى إصدار توصيات تناسب ما استجد . وتعالج ما طرأ من المشاكل وإلى قيامها بعقد اتفاقيات دولية متعددة لحفظ حقوق العمال ورعاية مصالحهم فإن الإسلام بمرونة قواعده . وشمول نظريته . يغنى المسلمين عن الدخول فى اتفاقيات ومعاهدات تخص العمال .

فقواعده العامة لاتصون حقوق العمال وحدهم . أو حقوق صاحب العمل . وإنما تصون الحقوق جميعاً . ليس لبنى الإنسان فقط بل للحيوان والطيور وكل الكائنات . فالأصول الكلية . والمبادئ العامة المرنة الواسعة . تتيح للمجتمع مواجهة ظروف الحياة المتجددة . والأزمات والبيئات المتغيرة فتختار ما يناسب أحوالها . وما يحقق مصالحها .

وقد جاءت الشريعة الإسلامية رحمة للناس . ولذلك قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . (يونس : آية ٥٧) .

ولذلك اتجه الإسلام فى أحكامه إلى نواح ثلاث :

الناحية الأولى : تهذيب الفرد . ليستطيع أن يكون مصدر خير لجماعته ولا يكون منه شر لأحد الناس . وذلك بالعبادات التى شرعها . وهى كلها لتهذيب النفوس . وتوثيق العلائق الاجتماعية الفاضلة . وهى تشفى النفوس من أدران الحقد . الذى استكن فى قلب بنى آدم . وبذلك يكون المؤمن فى ألفة مع غيره . ولا يكون ظلم ولا فحشاء

(١) الأنبياء آية ١٠٧ .

الناحية الثانية : إقامة العدل في الجماعة الإسلامية . العدل فيما بينها والعدل مع غيرها . ولذلك قال الله تعالى ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (١) .

والعدل في الإسلام مقصد أسمى . ويتجه في اتجاهات مختلفة . يتجه إلى العدل في الأحكام والأقضية والشهادات . وإلى العدل في المعاملة مع غيره . بأن يفرض أن للناس من الحقوق مثل ماله . وقد بين ذلك النبي ﷺ أحكم بيان فقال عليه الصلاة والسلام : « عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به » .

وانتجه الإسلام إلى العدالة الاجتماعية . فجعل الناس متساوية أمام القانون والقضاء . لا فرق بين غنى أو فقير . فليس فيه طبقات تتميز فيها طبقة عن طبقة . بل القوى ضعيف حتى يؤخذ الحق منه . والضعيف قوى حتى يأخذ حقه . والناس جميعا من طينة واحدة . لا فرق بين لون ولون وجنس وجنس . بل الجميع سواء أمام الأحكام الإسلامية ، وفي سبيل تحقيق تلك العدالة الاجتماعية . مكن سبحانه وتعالى كل إنسان يستظل بظل رايته من فرص العمل ليعمل وأنه لكيلا يبخس أحد حظه ويظلم ، جعل سبحانه نتائج الأعمال متكافئة مع الأعمال . فمن يعمل خيرا يحصده . وبمقدار مجهود الشخص وإنتاجه يكون جزاؤه وأنه لاسبيل لتحقيق العدالة . إلا إذا سادت الفضيلة وسادت المحبة . واعتبرت مصلحة كل فرد مصلحة أخيه . وإن أجمع آية لمعاني الأحكام الإسلامية . قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ . (النحل آية ٩٠) .

الناحية الثالثة . من نواحي الأحكام الإسلامية . وتلك غاية محققة ثابتة في كل الأحكام الإسلامية : وهي المصلحة . فما من أمر شرعه الإسلام بالكتاب والسنة . إلا كانت فيه مصلحة حقيقية . وإن خفيت تلك المصلحة على بعض الذين غشاهم الهوى والمصلحة التي يريدها الإسلام ليست الهوى . وإنما هي المصلحة الحقيقية التي تعم ولا تخص . ولما كان هذا الموضوع من الشرع الإسلامي نشير إليه ببعض التفصيل :

(١) المائدة آية : ٨ .

قلنا إن المصلحة الإسلامية التي تحققها الأحكام الإسلامية . وتشتملها النصوص الدينية هي المصلحة الحقيقية . وهي ترجع إلى المحافظة على أمور خمسة : الدين والنفس والمال والعقل . والنسل . وذلك لأن الدنيا التي يعيش فيها الإنسان . تقوم على هذه الأمور الخمسة . ولا تتوافر الحياة الإنسانية الرفيعة إلا بها^(١) .

فأى اتفاقات أو توصيات أو معاهدات تصل إلى مثل هذا الضمان الذي وضعته الشريعة الغراء . أو إلى قريب منه .

أنها الشريعة الخاتمة ، التي أراد منزلها أن تكون صالحة لكل زمن ولكل مكان . ولسائر الأجناس من البشر ، ولكل البيئات التي يعيش فيها البشر . بما تتمتع به من يسر ومرونة .

يقول حجة الإسلام الغزالي : إن جلب المنفعة ودفع المضرّة . مقاصد الخلق . وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم . لكنا نعني بالمصلحة . المحافظة على مقصود الشرع . ومقصود الشرع من الخلق خمسة وهو أن يحفظ عليهم دينهم وأنفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم . فكل ما يضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو المصلحة . وكل ما يفوت هذه الأصول الخمسة فهو المفسدة . ودفعها مصلحة^(٢) .

* * *

(١) أصول الفقه للإمام محمد أبو زهرة ص ٣٤١ ، وما بعدها بإختصار يسير .

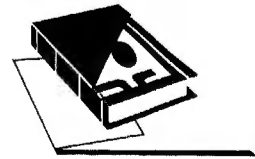
(٢) المستصفى ص ٢٨٧ .

الفهرس

الصفحة

الموضوع

٥	الإهداء
٧	استفتاح
٩	تقديم
١١	تمهيد
١٥	الباب الأول
١٧	المبحث الأول : نظرية القيمة في الفكر الإسلامي
١٩	المبحث الثاني : تعريف العمل
٢١	المبحث الثالث : مكانة العمل في الإسلام
٢٢	المبحث الرابع : الإسلام دين العمل
٢٤	المبحث الخامس : اتساع ميادين العمل
٢٨	المبحث السادس : بعض الأعمال محرمة
٣٨	المبحث السابع : دعوى باطلة
٤٢	المبحث الثامن : للمرأة أن تعمل
٤٧	الباب الثاني
٤٩	المبحث الأول : نبى الإسلام عامل
٥١	المبحث الثالث : الأنبياء والرسل والعمل
٥٣	الباب الثالث
٥٥	المبحث الأول : شبهات حول الزراعة
٥٨	المبحث الثاني : مهنة البناء وما أثير حولها
٦٠	المبحث الثالث : مهنة التصوير وصناعة التماثيل
٦٦	المبحث الرابع : الموسيقى والغناء
٧١	المبحث الخامس : من وسائل الزينة للمرأة
٧٣	الباب الرابع
٧٥	المبحث الأول : عقد العمل
٧٩	المبحث الثاني : حقوق العامل
٨٩	المبحث الثالث : العرف حكم عند تعارض المصالح
٩٠	المبحث الرابع : نظام الطوائف
٩١	الباب الخامس : واجبات العمال
٩٩	الباب السادس : بين الإسلام وقوانين العمل
١٠٤	الفهرس



طبعة. نشر. توزيع

ش ٢٣ سكة المدينة - ناهيا - جيزة

ت : ٣٢٥٠٢٠٢ - ٣٢٥٠٩٥٧